كتاب الطباع

ثيوفراسط

44

ترجمة: عبد الغفار مكاوى

أفاق الترجمة

الهيئة العامة لقصور الثقافة

علي مولا

آفاق الترجمة
يوليو ١٩٩٨

٤٤

الهيئة العامة
لقصور الثقافة

كتاب الطباع

تأليف : ثيوفراسط
ترجمة : عبد الغفار مكاوى

لوحة الغلاف
للفنان محمد رزق

التصميم الأساس للغلاف
عمر جهان

رئيس مجلس الإدارة

د. مصطفى الرزاز

المشرف العام

علي أبو شادى

رئيس التحرير

د. منى أبو سنة

مدير التحرير

محمد عيد ابراهيم

استشاريو التحرير

د. مراد وهبة

د. إبراهيم البحراوى

د. أحمد مستجير

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى : ١٦ ش أمين سامى - القصر العينى - القاهرة . رقم بريدى ١١٥٦١

العنوان الأصلي للكتاب

xarakteres ethikoi

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة

تمهيد

(١) هذا الكتيب الذهبى ...

هكذا وصفه أحد الكتاب فى بداية عصر النهضة الأوربية . واستمتع القراء على مدى ثلاثة وعشرين قرنا أو يزيد بلوحاته الحية التى ترسم بخطوط دقيقة ومرهفة طباع ثلاثين نموذجا أو نمطا من البشر العاديين الذين عاشوا فى أثينا فى السنوات الأولى من العصر الهلينى المبكر ولم تساعدهم ظروف نشأتهم وتربيتهم واستعداداتهم الطبيعية الموروثة على التخلص من رذائلهم ونقائصهم أو تغييرها والارتفاع فوقها - بل إن القراء على مرّ العصور قد وجدوا فى هذه النماذج والأنماط من الأخلاق والطباع، أو فى بعضها على الأقل، نظائر مشابهة لأناس من المحيطين بهم أو المتعاملين معهم، وربما وجدوا فيها أنفسهم أيضا...

ولقد تصور بعض القراء الذين أعجبوا بهذا الكتاب أنه ينتمى إلى

فلسفة الأخلاق وينفع الآباء والمربين والمعلمين والمتعلمين. وتحمس له بعض المؤلفين المجهولين فتدخلوا فى نصه الأصلى وأضافوا إليه مواعظ وعبارات خطابية أثبت العلماء المحققون بعد ذلك أنها منحولة عليه، كما استوحاه وأفاد منه الكثيرون من ذوى الحساسية الأدبية والموهبة الفنية فى أعمالهم المسرحية والقصصية والروائية أو فى حكمهم وحكاياتهم الأخلاقية المكثفة كما سنرى بعد قليل. وبقى كتاب الطباع مصدر المتعة والإلهام والحيرة أيضا بسبب المادة النفيسة المفعمة بالحياة والظُرف والمعرفة التى يضمها منجمه الذهبى الصغير، فضلا عن قيمته العالية التى يقدرها كل من يهتم بالتاريخ الاجتماعى والسياسى والأخلاقى، ويتتبع تطور العادات والتقاليد والأفكار والصراعات، بجانب الأضواء الكاشفة التى يلقيها على حياة الإنسان العادى – الرجل الصغير أو رجل الشارع كما نقول اليوم! – وعلى تصرفاته فى المواقف المختلفة وردود أفعاله على الأحداث والوقائع متلاطمة الأمواج أمام عينيه ومن حوله. وفى كل الأحوال يتجاوب القراء مع النص الطريف اللطيف بصور متفاوتة تدفعهم للابتسام أو النفور والاستهجان، وللرضا أو السخط أو التعجب من «الطبيعة البشرية» المشتركة التى توحى أحيانا بأنها ثابتة ولا تكاد تتغير إلا فى القشرة والسطح دون الجوهر والنواة...

ولابد قبل الخوض فى البحر الزاخر الذى تجيش تياراته الظاهرة والباطنة من داخل هذا النبع الضئيل المحدود، أو بالأحرى من قلب هذه القطرات العذبة من النثر اليونانى القديم – لابد قبل الاتجاه

لمضمون الكتاب نفسه وشكله اللغوى والفنى، من التعريف بمؤلفه ثاوفراسطوس - تلميذ المعلم الأول أرسطو وصديقه ومساعده وخليفته فى رئاسة اللوقيون لفترة أربت على الخمسة والثلاثين عاما، ولابد كذلك من توضيح علاقة الكتاب بفلسفة أرسطو وتلميذه فى الأخلاق ومن الإشارة باختصار إلى تأثيره الممتدّ على أجيال عديدة من الأدباء والعلماء والمفكرين والدارسين...

(٢) ولد ثيوفراسط فى مدينة إريزوس بجزيرة لسبوس (موطن سافو أول وأرق شاعرة غنائية فى تاريخ الشعر الغربى(★)) لأسرة يبدو أنها كانت ميسورة الحال (عاش من حوالى ٣٧١ / ٣٧٢ قبل الميلاد إلى حوالى ٢٨٧ / ٢٨٨). ويروى أن اسمه الأصلى الذى كان يدعى به هو تيرتاموس، وأن أرسطو هو الذى سماه ثيوفراسطوس (أي المتحدث الالهى) إعجابا بقدراته ومواهبه الفائقة فى الفصاحة وحسن الكلام. وبعد أن أتم تعليمه فى مسقط رأسه ذهب إلى أثينا وحقق حلمه وحلم كل شاب طموح للثقافة الجادة فى أيامه بالدخول فى أكاديمية أفلاطون وقت أن كان الفيلسوف نفسه لايزال حيا كما كان أرسطو - الذى يكبر ثيوفراسط باثنى عشر عاما - يعمل فى الأكاديمية ويشغل ما يمكن أن نسميه اليوم مهمة المعيد أو المدرس المساعد... وبعد موت أفلاطون (حوالى سنة ٣٤٧ / ٣٤٨) توجه

(★) راجع إن شئت كتابى عنها مع كل الشذرات الباقية من أشعارها: سافو، شاعرة الحب والجمال، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦.

ثيوفراسط مع أستاذه – الذى توثقت علاقة المودة والصداقة بينهما – إلى مدينة آسوس(*) فى ضيافة الطاغية(**) هيرمياس الأتارنوسى الذى يبدو أنه كان قد أبدى رغبته فى افتتاح فرع للأكاديمية الأفلاطونية فى بلده. واضطر الفيلسوفان أن يغادرا المدينة أو إذا أردنا الدقة أن يهربا منها بعد موت هيرمياس ونهايته الفظيعة (قتل عام ٣٤٥ ق.م) وأن يذهبا معا إلى مدينة ميتيلينة بجزيرة لِسْبُوسْ للإقامة فيها فترة قصيرة حسب مشورة ثيوفراسط أو فى ضيافته. ولكنهما لم يطيلا المكث هنا أيضا، إذ سرعان ما رافق صاحبنا معلمه وصديقه إلى مقدونيا بدعوة من ملكها فيليب والد الاسكندر الأكبر حيث دامت إقامتهما فى البلاط المقدونى قرابة ستة أعوام (من ٣٤١ / ٣٤٢ – إلى حوالى ٣٣٥ ق.م) رجعا بعدها إلى أثينا. ولما مات الاسكندر الأكبر (٣٢٣ ق.م) واضطر أرسطو للفرار إلى مدينة خالقيس عاصمة جزيرة أيوبيا – من اضطهاد الوطنيين الأثينيين الذين اتهموه بممالأة المقدونيين والتواطؤ معهم – ثم عاجله الموت (فى عام ٣٢٢) تولى ثيوفراسط رئاسة المدرسة المشائية (اللوقيون) التى كانت تقوم حتى ذلك الحين على الروابط الشخصية وتفتقر إلى القدر الكافى من التماسك والرسوخ. واستعان ثيوفراسط بتلميذه

(*) فى منطقة تراس الزراعية والجبلية المحيطة بطروادة الشهيرة – وتقع إلى الشمال الغربى من آسيا الصغرى على شواطئ الدردنيل والبحر الإيجى.

(**) أرجو أن يلاحظ القارئ أن كلمة الطاغية هنا (أو التيرانوس باليونانية) لا تعنى فى كل الأحوال الحاكم الظالم المستبد، وانما تعنى الحاكم الفرد الذى لا يتحتم بالضرورة أن يكون ظالما مستبدا... وكم عرفت بلاد اليونان القديمة من «طغاة» ضربوا الأمثال فى العدل والمروءة والاستنارة والدفاع عن حقوق الفقراء من العمال الحرفيين والزراعيين ضد الأرستقراطيين وأرباب التجارة والمال...

ديمتريوس الفاليرونى(*) فى الحصول على قطعة أرض مزودة ببعض المبانى الصالحة لتدبير شئون المدرسة المشائية وإضفاء الصبغة القانونية عليها - ومع أنه كان متحفظاً بطبعه تجاه الصراعات السياسية الدائرة بين المقدونيين والحزب الأثينى المعارض لهم، كما حافظ على العلاقات الطيبة مع الحكام المقدونيين حرصا على المدرسة وضمانا لاستمرارها فى أداء مهمتها، فإن هذا لم يُنْجِه ولا أَنْجاها من الهجمات التى شنها الحزب الأثينى عليهما. وجه إليه شخص مريب يدعى هاجنونيدس تهمة التجديف على الدين، ولكن المحكمة برأته منها بأغلبية ساحقة، كما حاول شخص آخر - يسمى لسوء حظ مؤلف أوديب وأنتيجونا واليكترا وغيرها من المسرحيات الخالدة باسم سوفوكليس! - أن يخضع المدرسة المشائية لإشراف الدولة، فغادر ثيوفراسط أثينا ومعه بعض فلاسفة المدرسة احتجاجا على هذا الإجراء الخطر الذى لم يلبث أن سقط بمساعدة أحد تلاميذه الأوفياء...

والظاهر مما بقى لدينا من معلومات أن ثيوفراسط كان معلما كفئا جمع بين الذكاء والبراعة والجدية والطيبة والإخلاص وغيرها من

(*) عاش من حوالى ٣٥٠ إلى ٢٨٣ ق. م - وتولى إدارة شئون أثينا سنة ٣١٧ بتكليف من كاساندر المقدونى واستمر فى حكمها عشر سنوات حتى طرد منها سنة ٣٠٧ فاتجه إلى ثيبة ومنها إلى مصر حيث استعان بطليموس الأول (المنقذ) بمشورته فى توجيه سياسته الثقافية - تنسب له أعمال عديدة - لم يتبق منها سوى شذرات قليلة - فى الفلسفة والخطابة والسياسة والتاريخ، بجانب مجموعة من خرافات ايزوب وشروح على هوميروس وتقرير أو تبرير لفترة حكمه لأثينا...

المواهب التى تجذب المتعلمين إلى المعلم كما ينجذب الفراش إلى النور ولذلك لا نعجب من الأخبار التى تقول إن تلاميذه زاد عددهم على الألفين، ومنهم أعلام مشهورون مثل - مجدد الكوميديا ميناندر(*) والسياسى سابق الذكر ديمتريوس الفاليرونى، والخطيب دايناركوس(**) والطبيب ايراسستراتوس(***)، والفيلسوفان

(*) ولد فى أثينا حوالى سنة ٣٤١ / ٣٤٢ ق. م ومات فى بيرايوس بين سنتى ٢٩٣ و٢٩٠ ق. م شاعر مسرحى، وأهم ممثل للكوميديا الجديدة، يقال إنه كتب أكثر من مائة ملهاة فازت منها ثمان فى المسابقات، ولكنها فقدت جميعا ولم يصل إلينا منها - منذ أوائل القرن العشرين حتى منتصفه - سوى مسرحية واحدة شبه كاملة وهى الديسكولوس أو الفظ سيئ الطباع، وأجزاء كبيرة من مسرحيتين ناضجتين هما التحكيم ومحلوقة الرأس، أما بقية الكنوز الضائعة فلم يتبق منها إلا شذرات قليلة أو أبيات متفرقة أو مجرد عناوين. وقد تأثر به إلى حد النقل والاقتباس الحرفى شاعرا الكوميديا الرومانيان بلاوتوس وتيرنس بوجه خاص. استمد موضوعاته من الحياة الاجتماعية اليومية للطبقة الوسطى الأثينية، وتأثر بالتراجيديا القديمة، لاسيما يوريبيدس، ونقل موضوعاتها البطولية إلى حياة معاصريه الخالية من أي بطولة . تأثر بأستاذه ثاوفراسط - خصوصا فى كتابه عن الطباع وفلسفته فى الأخلاق - فصور نماذج شخصياته الحية المتفردة بتناقضاتها وآلامها وصراعاتها تصويرا يفيض ذكاء وظرفا وإنسانية وتعاطفا مع مظاهر الضعف والزلل والعجز التى تعانى منها. تجلت براعته فى رسم الشخصيات المتفردة والمواقف المفعمة بالحيوية - وسيأتى الكلام عنه فيما بعد بشئ من التفصيل.

(**) خطيب يونانى مشهور، ولد حوالى ٣٦٠ ق.م فى مدينة كورنثة وعاش فى أثينا ومات بها حوالى سنة ٢٩٠ ق. م. حرم عليه الاشتغال بالسياسة بسبب أصله الأجنبى فكان يكتب الخطب لغيره. لم يتبق سوى عدد قليل من خطبه، إحداها ضد الخطيب والسياسى الأثينى الأشهر ديموستينيس الذى كان - أى دايناركوس يقلده دون أن يبلغ مستواه، وثلاث منها عن المحاكمة المشهورة باسم محاكمة هربالوس (وهو صديق الاسكندر الأكبر الذى عهد اليه بأمور الخزانة فاختلس - أثناء وجوده فى بابل - جزءا كبيرا من أموالها وحاول اللجوء بها إلى أثينا، فلما طالب الأسكندر بتسليمه فرَّ من جديد وقتل وهو فى طريقه إلى جزيرة كريت. وقد أثيرت بعد ذلك قضية الأموال التى تركها فى أثينا وشغلت الأثينيين - بمن فيهم ديموستينيس نفسه! - وقتا طويلا ...

(***) طبيب إغريقى، عاش من حوالى ٣٠٠ إلى حوالى ٢٤٠ ق.م علم فى الاسكندرية وقام بدراسات واسعة فى التشريح ووظائف الأعضاء حيث اهتم بدراسة المخ =

ستراتون(**) واركيزيلاوس(***).

أما عن حياته الخاصة فالمعروف أنه آثر أن يبقى عزبا حتى لا يعطله الزواج أو تعوقه تكاليف الأسرة عن التفرغ للنظر والتأمل الفلسفى. وقد امتد به العمر وعاجلته متاعب الشيخوخة فكان لا يتحرك فى أخريات أيامه إلا على نقالة، وأغلب الظن أنه ظل متشبثا بالقيام بواجبه نحو مدرسته وتلاميذه حتى جاءت النهاية المحتومة بعد الخامسة والثمانين (حوالى ٢٨٦ أو ٢٨٧ ق.م) فشيعه جمهور كبير من المواطنين إلى مثواه الأخير فى أثينا...

= والأعصاب والقلب والأوعية الدموية. استبدل بالطب والتشخيص الأبوقراطى (نسبة إلى أبقراط) القائم على نظرية الأمزجة والأخلاط تفسيرا فزيائيا وميكانيكيا للظواهر المرضية والسوية التى تتم فى الكيان العضوى البشرى، وأسس هذا التفسير على النظرية الذرية لديموقريطس والنظريات الفزيائية عند المدرسة المشائية وبالأخص عند ستراتون ونظرية النفس التى كانت شائعة فى المناطق الغربية لبلاد الإغريق.

(★) ولد حوالى ٢٥٠ ق.م وانضم إلى المدرسة المشائية فى أثينا ثم تولى رئاستها بعد موت ثيوفراسط سنة ٢٨٨ ق.م، لمدة ثمانية عشر عاما. يعدُّ أول من بدأ تفسير فلسفة أرسطو تفسيرا ماديا، إذ عدل عن تفرقته المشهورة بين المادة والصورة ووضع القوة الصورية الفاعلة داخل المادة نفسها، مما كان له تأثير كبير على تطور التفسير المادى لفلسفة أرسطو وعلى تطور الفلسفة الإسلامية حتى ابن سينا وابن رشد . استعان كذلك فى تفسيراته المادية لنشوء العالم وللمعرفة والعقل والتذكر بالنظرية الذرية عند ديموقريطس ومدرسته، وعرف فى عصره باسم «الفيزيائى (الفيزيكوس)» بسبب بحوثه الواسعة فى العلوم الطبيعية، وإن كان قد بحث أيضاً فى الأخلاق والمنطق والطب والفلك...

(★★) أهم ممثلى الجيل الوسط لأصحاب الأكاديمية الأفلاطونية - نفى إمكان معرفة الواقع لا عن طريق الحواس ولا عن طريق العقل، ولذلك طالب بتعليق الحكم أى الامتناع عن إصدار أى حكم بالإثبات أو النفى، ولذلك نجده يأخذ فى الأمور العملية بنظرية الاحتمال أو الترجيح التى يجد فيها الكفاية. حارب مذاهب الرواقيين فى الطبيعة والإلهيات.

(٣) كان ثيوفراسط فى العشرين من عمره عندما دخل أكاديمية أفلاطون واختار أن يأخذ العلم على أرسطو الذى يكبره باثنى عشر عاما - كما سبق القول - وتوثقت العلاقة بينهما على مدى ثلاثين سنة فأصبح مساعده وزميله فى البحث والدراسة وأقرب أصدقائه إليه. ثم كان عليه وهو فى الخمسين من عمره أن يخلف المعلم والصديق فى رئاسة مدرسته لمدة تربو على الخمسة والثلاثين عاما. ولا شك أن السؤال الذى يخطر على البال هو إلى أى حد تأثر فى أعماله - التى فقد أغلبها ولم يبق من معظمها سوى شذرات متناثرة - بمعلمه الكبير، وهل استطاع أن يستقل بفكره وفلسفته ويكون لنفسه نسقا خاصا به، هذا إذا ثبت وجود مثل هذا النسق على الإطلاق؟ والجواب على هذا السؤال المركب يحتاج للنظر فى أعمال ثاوفراسط ومنهجه فى البحث والآراء المختلفة حول هذا الموضوع.

الواقع أننا لن نستطيع أن نحدد عدد البحوث التى تركها ثاوفراسط تحديدا دقيقا، وعلى الرغم من وجود ثبت قديم لأعماله يحتوى على أكثر من مائتى عنوان فبعض هذه العناوين مكرر، وبعضها الآخر لا يخرج عن كونه فصولا من كتب أكبر(*). ومع ذلك

(*) يثبت له ديوجينيس اللائرسى فى كتابه المعروف الذى وضعه حوالى سنة ٢٢٠ بعد الميلاد، وهو كتاب حياة وآراء مشاهير الفلاسفة - فى الفصل الثانى من الكتاب الخامس من المجلد الأول للترجمة الألمانية، ص ٢٦١ - ٢٧٤ - مائتين وخمسة وعشرين عنوانا بعضها مكرر ولم يبق منها سوى كتابة الكبير عن النبات ورسالتيه عن الميتافيزيقا وعن الطباع وبعض الشذرات من بحوث صغيرة راجع : Diegenes Laertius; Leben und Meinungen beruhmter Philosophen. ubersetzt von otto Apelt. Hamburg, Philosophische Bibliothek, 1967 .S. 261- 2 74.

فإن هذا الثبت يظهرنا على ضخامة حجم البحوث التى كتبها وتنوع الميادين التى استوعبتها تنوعا مذهلا. فهى تكاد تغطى كل مجالات المعرفة البشرية : من المنطق والميتافيزيقا والمسائل الأساسية فى الفيزياء وسائر العلوم الطبيعية كالفلك والطقس والهيدرولوجيا (علم المياه) والتعدين والزلازل، إلى النبات والحيوان والطب وعلم النفس، ومن الأخلاق والسياسة والاقتصاد والطب والتشريح إلى الخطابة وفن الشعر والأدب وتاريخ الحضارة وتاريخ العلم. وقسا الزمان (أو خرونوس الذى تؤكد أساطير اليونان أنه يبتلع كل شئ!) عليه وعلينا فلم يحفظ من أعماله الكبرى سوى كتابيه عن النبات والميتافيزيقا، إلى جانب عدد من البحوث الصغيرة - التى تبدو مجتزأة من بحوث أكبر وأشمل فى العلوم الطبيعية والفسيولوجيا، فضلا عن شذرات عديدة وتلخيصات ومقتطفات مختلفة وردت عند بعض المؤلفين المتأخرين(*). وأخيرا بقى لنا هذا الكتيب الذهبى عن «الطباع»، وإن كان بعض المتأخرين يرجحون - كما سنرى - أن ثاوفراسط لم يقتصر على الطباع السيئة التى قدمها فى ثلاثين نمطا أو نموذجا سيطرت عليهم الرذائل بصور مختلفة، وإنما قدم نماذج أخرى طيبة أو خيرة لم يبق لها أثر.

(*) يكفى لكى نأخذ فكرة سريعة عن موسوعية ثيوفراسط أن نذكر موضوعات بعض شذرات بحوثه الصغيرة عن النار، الأحجار، التعب، الروائح، علامات الطقس، العرق، الرياح، الدوار، الشلل، الإحساس (وهو الجزء المتبقى من كنزه الضائع الذى كان يضم ثمانية عشر كتابا عن آراء الفلاسفة الطبيعيين وكان - كما قال عنه هيرمان ديلز ناشر نصوص الفلاسفة قبل سقراط - أهم مصدر أخذت عنه معلوماتنا عنهم...

وإذا كانت الأعمال الأدبية بالمعنى الدقيق قليلة إلى حد الندرة فى التراث الذى خلفه ثاوفراسط، فإن معظم أعماله لايزال يحمل الخاتم الذى انطبع عليه بحكم نشأته وسبب وجوده، وأعنى به طابع التعليم والمحاضرة التى تبتعد فى أسلوبها وطريقة تأليفها عن الزخارف الخطابية والملاحظات الجزئية والتبسيط الذى يقصد به عامة القراء. وربما أمكن تقسيم كتابات ثاوفراسط إلى خمسة أنواع متميزة :

مواد متفرقة من تجميع المؤلف (ولم يصلنا أى كتاب من هذا النوع)، وملاحظات نقدية عن آراء فلاسفة آخرين (ومن أمثلة ذلك كتابه عن الإدراكات الحسية)، وكتابات «إشكالية»، أى تطرح مشكلة معينة وتعرِّف بالصعوبات التى تنطوى عليها مع اقتراح الطريق أو الطرق الممكنة لحلها (ومن هذا النوع كتابه عن الميتافيزيقا)، وبحوث وصفية أو تقريرية عن وقائع معينة (مثل كتابه عن تاريخ النبات)، وأخيرا تأتى كتاباته عن الأسباب أو العلل الممكنة للوقائع المختلفة (ومن أمثلة ذلك كتابه عن علل النباتات) وغنى عن الذكر أن هذه الأنواع بمناهجها المختلفة يمكن أن تجتمع فى كتاب أو بحث واحد، فكتابته عن النار تشرح عللها وأسبابها، كما تقدم أوصافا وآراء نقدية مختلفة فى الفقرة التى يتكلم فيها عن شكل اللهب، حتى ليذهب إلى حد الشك فى كون النار أحد العناصر الأربعة الأولية كما قال بذلك القدماء، ومن ثم إلى حد الشك فى أسس الفيزياء القديمة بأكملها... وعلى العكس من ذلك نجد أن بحثه عن الأحجار والأراضى مجرد تجميع لوقائع كثيرة، وإن كان لا يخلو تماما من

النظرة فى العلل والأسباب ولا من الآراء النقدية النافذة. والمهم أن أعماله تكشف فى جملتها عن براعته فى تحديد المشكلة وبيان صعوباتها، وقدرته على توجيه النقد لغيره، ودقة ملاحظته وقدرته على التصنيف والتقسيم التى تتجلى قبل كل شئ فى كتاباته عن النباتات والمعادن، وكل ذلك إلى جانب «منهجيته» ونزعته التجريبية التى تجعله - بعد أرسطو - أحد رواد المنهج العلمى الذى لا تنفصل فيه قوة الملاحظة عن النقد العقلى، ولا تجميع المادة عن الشك والتساؤل المستمر ومناقشة آراء السابقين ونقدها...

(٤) ونأتى إلى السؤال العويص عن علاقته بأستاذه وصديقه ومدى تأثره به أو استقلاله عنه. وهو سؤال عويص لأن الباحثين والمؤرخين منذ القرن الأول قبل الميلاد قد درجوا على وضع ثيوفراسط فى موضع الظل من أرسطو ، أى أنهم رجعوا لأعماله لاستكمال الأجزاء الناقصة من النسق الأرسطى أو على الأقل لشرحه وتفسيره، ونظروا إليه فى الحالين كأحد أتباعه أو على أحسن الفروض باعتباره أوفى المحافظين على فلسفته. صحيح أنهم اعترفوا له بتعديل شئ أو إضافة أو تصحيح شئ هنا أو هناك من فلسفة المعلم الأول (مثل نظريته عن الأقيسة الشرطية التى أضافها - قبل الرواقيين ثم المناطقة العرب - لنظرية القياس عند أرسطو، ومثل رده لأحكام «الجهة» إلى الترجيح والاعتقاد الذاتى، ومعارضته لفكرة أرسطو المشهورة عن غائية الطبيعة بالرغم من دفاعه عن فكرته عن قدم العالم، بجانب كونه أحد رواد التاريخ الفلسفى من خلال عرضه

لآراء الفلاسفة الطبيعيين قبل إبداء انتقاداته لها، وإدخاله لمفاهيم ومصطلحات عديدة (مثل مصطلح التكيف للبيئة والظروف المحيطة - الأويكيوزيس - من العلوم الطبيعية والبيولوجية المختلفة فى اللغة الفلسفية، إلى جانب اهتمامه بدراسة الحياة الشعبية والأمثال والطباع نتيجة اهتمامه بالبحوث النفسية حتى عند الحيوانات(*)...)

استطاعت البحوث الحديثة عن ثيوفراسط أن تخرجه إلى حد كبير من ظل أرسطو الذى خيَّم عليه ما يقرب من عشرين قرنا، وهى الآن - كما يقول الأستاذ بيتر شتاينمتز الباحث فى أعماله وناشر ومحقق ومترجم النص الأصلى لكتابه عن الطباع - فى الطريق إلى بلورة فلسفته المستقلة التى بدأت معالمها فى الوضوح بعد رحيل معلمه وصديقه...

والحقيقة أن القول بوجود فلسفة مستقلة لثيوفراسط أو إنكار ذلك ونفيه إنما يتوقف على تتبع العلاقة بين التلميذ والمعلم تتبعا تاريخيا يكشف عن الاستقلال التدريجى مع البقاء على الإخلاص والوفاء وإعلاء البناء على الأسس التى وضعها الأستاذ والصديق ... ولابد لتوضيح هذا من الكلام باختصار عن تطور كتابات ثيوفراسط وما طرأ عليها من تطور وتغير...

(*) ومن هذه الإضافات والتعديلات أيضا أنه أدخل الضروب الخمسة غير المباشرة على الشكل الأول للقياس، وهى التى تكون منها بعد ذلك الشكل الرابع له، وأنه عارض أرسطو فى فكرته عن المحرك الأول وتشكك فى وجوده، كما افترض أن التغير يشمل جميع المقولات ولا يقتصر على مقولات الجوهر والكم والكيف والأين (المكان) كما ذهب أرسطو ولم يسلم بنظرية أستاذه الشائكة عن العقل ولا بنظريته عن المكان. والملاحظ أن هذه الإضافات أو بعضها تنسب أيضا لزميله أويديموس، وربما اشتركا معاً فيها...

(٥) فى تقديرى المتواضع أن العلاقة التى ربطت بين ثيوفراسط وأستاذه هى النموذج الأسمى لعلاقة التلميذ بالمعلم، فهو يأخذ عنه ويتعاون معه ويعمل بوحيه ومشورته، ولكن هذا لا يمنعه من الاستقلال برأيه، على الأقل فى دقائق التفصيل والشرح والتفسير. وهو حين يمتد به العمر لا يجاهر بمعارضته ولا يرميه بالسهام بعد أن اشتدَّ ساعده، وإنما يعلى البناء - كما سبق القول - على الأسس التى وضعها المعلم ولا يكترث بعد ذلك أن ينسب البناء له أو لأستاذه. وعسى ألا أكون مبالغا إذا قلت إن القليل الذى قرأته لثيوفراسط أو قرأته عنه يؤكد أنه كان يتحلى بفضيلة التواضع والعرفان الذى يحمله التلميذ الوفى لأستاذه، وإن لم تحل هذه الفضيلة بينه وبين توجيه النقد للأستاذ كلما احتاج الأمر فى تقديره لتوجيه النقد، ثم الاستقلال بالرأى الخاص الذى يعد فى الحقيقة من تمام الوفاء للأستاذ الذى لا يسعده أن يكون تلميذه نسخة منه ولا لسانا ناطقا عنه ومرددا لأقواله، كما لا يسعده أن يتحول تلميذه إلى كلب يعضه فى حياته أو بعد موته، أو إلى شاهد زور عليه وكاتب للعرائض ضده...

كتب ثيوفراسط فى سنوات الطلب بعض البحوث والدراسات تحت إشراف أرسطو وتوجيهه، ولكن لم يصلنا للأسف شئ منها. ولما اكتسب ثقة المعلم الأول الذى أتاح له أن يعاونه فى البحث وتجميع المادة اللازمة لدراساته العلمية والطبيعية المختلفة على طريقته الاستقرائية المعروفة، كتب دراسات «دوكسوجرافية» تتبع

فيها آراء الفلاسفة الطبيعيين السابقين وشرحها وقيمها فى لغة «مشائية»، ومن ذلك دراساته عن النبات التى لا أشك فى أن أرسطو نفسه قد أفاد منها - حتى إذا بلغنا المرحلة التى تولى فيها رئاسة اللوقيون لم نجد بأسا من أن نفترض أنه كتب بعض بحوثه وفى ذهنه توجيهات المعلم الراحل وإرشاده، دون أن نستبعد مع ذلك أنه بدأ فى الاستقلال بالرأى والشروع فى إرساء معالم «نسقه» الخاص به. وربما جاز القول بأن العلاقة بينه وبين أستاذه خلال العشرين سنة الأخيرة من تعاونهما المشترك كانت علاقة أخذ وعطاء، وأن أستاذية المعلم الأول لم تقتصر على التوجيه والإرشاد بل تعدتهما إلى التلقى من التلميذ والصديق الحميم، على الأقل من خلال الحوار وتبادل الآراء.

وغنى عن الذكر أن مهمة الباحثين المحدثين والمعاصرين فى الكشف عن تأثير ثيوفراسط على أعمال أرسطو المتأخرة لابد أن تكون شاقة بقدر ما هى شديدة الأهمية. وإذا كانوا قد قطعوا خطوات ملموسة على هذه الطريق، فلم تزل أمامهم خطوات أخرى ينتظر منهم إنجازها ليمكن الكلام عن نسق فلسفى متبلور وواضح المعالم لثيوفراسط، وهو الأمر الذى لم يتحقق حتى الآن بصورة كافية...

والحق أن هذه الطريقة «التاريخية» فى الاستدلال تجعلنا نستبعد على ثيوفراسط أن يكون قد انزلق بعد موت أرسطو إلى الوقوع فى خطأين لا نظن أن وفاءه لأستاذه من ناحية، وتكوينه العقلى والعلمى

من ناحية أخرى، كان من الممكن أن يستدرجاه إليهما : أولهما هو اتخاذ موقف الهجوم على أستاذه أو على الأقل موقف المعارضة أو المناقضة الصريحة لآرائه ومذاهبه، وثانيهما هو محاولة وضع أفكار صديقه وأستاذه فى قالب اعتقادى متزمت أو نهائى، لا سيما أنه – أى ثيوفراسط – قد تعلم من صحبته الطويلة لأرسطو أن هذا الأخير لم يكن يتوقف عن فحص آرائه ومراجعتها وتعديلها وتغييرها إذا لزم الأمر شأن كل فيلسوف أصيل(*)... أى طريق بقى له إذن أن يسلكه لكى يكون نفسه من جهة، ولكى لا يتهم نفسه أو يتهمه أحد من جهة أخرى بالتنكر أو الجحود ؟

لم يتبق إلا مواصلة البناء على الأسس التى أرساها المعلم والصديق كما سبق القول، مع الاستمرار فى فحص هذه الأسس ومراجعتها واقتراح بدائل أخرى كلما اقتضى الأمر.

هذا هو الذى فعله ثيوفراسط ولم يكف عن فعله. فهو يطرح المشكلة كما وضعها أرسطو، ثم يناقش هذا الوضع بطريقته الإشكالية «أو النقدية المتسائلة» إما لكى يقترح وضعا أو حلا آخر للمشكلة، أو لكى يواصل البحث فيها أو يشير على غيره بمواصلته. ومن الأمثلة التى تدل على هذا المنهج الذى سار عليه نذكر بحوثه فى كتابه عن «الميتافيزيقا» عن مفاهيم مختلفة كمفهوم المكان والحركة، ومناقشته لنظرية العناصر الأربعة الشهيرة فى بداية بحثه الذى

(★) من الأدلة التى تؤكد وفاء ثيوفراسط أنه شدَّد فى وصيته – التى يثبتها ديوجينيس اللائرسى سابق الذكر – على إقامة تمثال لأستاذه...

أشرنا إليه من قبل عن النار إلى حد التشكك فى النظرية نفسها. أضف إلى هذا عددا من دراساته وبحوثه فى موضوعات جزئية لا تكاد تحصى، وإن كان معظمها يدور حول موضوعات متصلة بالعلوم الطبيعية التى انصب عليها معظم اهتمامه وجهده - إنه يصل فى هذه البحوث إلى نتائج جديدة، تطرح بدورها أسئلة جديدة، وتجعله أثناء ذلك ينصرف عن بناء نسقه الخاص أو على الأقل يؤجله إلى أن يفرغ من بحوثه «النوعية» التى لا تنتهى - ولكن هذا لا ينفى أنه كان بصدد تأسيس أو إعلاء بناء مختلف عن بناء المعلم الأول. ومازالت مهمة الكشف عن معالم هذا البناء أو تحديد هذا النسق المتميز فى بدايتها وتحتاج إلى مزيد من البحث والجهد لإتمامها(*)...

(٦) استدل الباحثون من القراءة المتأنية «للطباع» والنظر فى التاريخ الاجتماعى والسياسى والحضارى الذى يحيط به ويتغلغل أحيانا فيه (لاسيما فى اللوحة الثامنة عن مروِّج الإشاعات وفى اللوحتين السابعة عن الثرثار والسادسة والعشرين عن الأوليجاركى أو المتسلط وغيرهما بدرجة أقل) استدلوا على أن ثاوفراسط قد كتبه بعد سنة ٣١٩ قبل الميلاد، أى بعد أن ناهز الخمسين من عمره وقضى فى رئاسة «اللوقيون» ما يربو على الثلاث سنوات. وهو يقدم

(*) راجع التعقيب القيم الذى كتبه الأستاذ بيتر شتاينمتز على الترجمة الألمانية لكتاب الطباع الذى سبق له هو نفسه أن حققه وترجمه... الطباع لثيوفراسط، النص اليونانى مع الترجمة الألمانية للأستاذ ديتريش كلوزه، شتوتجارت، ركلام، ص ٩٢ - ٩٣...

Theophrast; Charaktere, Griechisch - Deutsch. übersetzt und heraus - gegeben von Diefrich Klose. Stuttgart, Reclam. S.92-93 Mit einem Nachwort von Peter Steinmetz.

فيه كما سوف يرى القارئ ثلاثين لوحة (أو رسماً تخطيطيا حيا) جمعها إلى جوار بعضها بغير نظام يربط بينها ولا مقدمة تمهد لها. ويبدو أن أحد المعجبين المجهولين «بالكتيب الذهبى» قد عَزَّ عليه ذلك فتطوع بأن يضيف إليه - فى العصر البيزنطى على أرجح الأقوال - مقدمة من عنده ثبت بعد مراجعة نص البردية الأصلية أنها منحولة - ولم يكتف بهذا بل مرَّ بقلمه على بعض اللوحات فدس عليها بعض المواعظ الفجة التى لم يجد الباحثون مشقة كبيرة فى التحقق من زيفها واستبعادها.

سيلاحظ القارئ أن ثيوفراسط يقدم فى هذه اللوحات ألوانا مختلفة من الضعف البشرى أو من الخطأ الذى يقع فيه الناس خلال حياتهم اليومية، وكأن هذا الضعف فى تقديره رذيلة فاحشة، أو كأن الخطأ عيب أخلاقى خطير. بينما تؤكد النظرة البسيطة المباشرة أنها مجرد زلّات عادية يمكن أن ينزلق إليها الإنسان العادى بحكم طبعه أو ظروفه أو نقص تربيته وخبرته إلى غير ذلك من الأسباب دون أن يتورط بالضرورة فى جريمة تجعله يصطدم بالقانون الجنائى (ربما باستثناء حالتين تقتربان من حدود المحظور بحكم القانون السائد فى ذلك الحين، وهما حالتا الجبان فى اللوحة الخامسة والعشرين وحالة النمّام أو المفترى على الناس ظلما وقذفا فى أنسابهم وأعراضهم فى اللوحة الثامنة والعشرين) واللافت للنظر أن هؤلاء العاديين أو الأوساط - الذين لا ينتمون للصفوة أو عِلْية القوم ولا يمكن القول أيضاً بأنهم من المنبوذين أو طريدى المجتمع - هم من أولئك الذين

تخطوا سن الشباب وبلغوا منتصف العمر أو تجاوزوه أحيانا إلى ما بعد الكهولة حتى شارفوا على الشيخوخة. والغريب أيضاً أن أخطاءهم التى يصورها لنا ثيوفراسط تكاد تتطابق مع الأخطاء والتصرفات السلوكية المعيبة التى تصدر فى رأى أرسطو عن المتوسطين وكبار السن.

ولكن من أى نبع واقعى استقى ثيوفراسط نماذجه وأنماطه التى يقدمها لنا برؤية الفيلسوف الذى «أدركته» لعنة الفن أو بركته كما تشاء؟

والجواب الذى لا شك فى أن القارئ قد توصل إليه هو أنه قد التقط هذه اللوحات والصور من أصول أثينية كانت ماثلة أمام عينيه فى أثينا فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ومع بدايات العصر الهللينى المبكر وحكم خلفاء الاسكندر المقدونى لعاصمة الثقافة والفكر الفلسفى بكل ما كان يضطرب فيها من صراعات وأوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية أثرت على «أخلاق» هذه النماذج وعاداتهم ومواقفهم وردود أفعالهم. بل ربما تذكر القارئ المطلع على التاريخ اليونانى والأثينى بوجه خاص فى أواخر القرن الرابع العجيب أثناء متابعته لأخلاق وطباع بعض هذه النماذج شخصيات محددة وأحداثاً ووقائع تاريخية معينة سبق أن عرفها وتراءت لخياله. وسوف يزداد لديه هذا الشعور عندما يتابع أصحاب الطباع المتميزين مثل مروج الإشاعات (٨) والمؤمن بالخرافات (١٦) والأوليجاركى المتسلط والمتزمت لطبقته الثرية المستغلة ضد الفقراء وعامة الناس (٢٦)...

لا شك أن القارئ سيشعر بالحزن عندما يكتشف أن التجريد الفلسفى قد أضرَّ برسم ثيوفراسط لأصحاب هذه الطباع وأخلاقهم إلى الحد الذى كادت معه أن تصبح صورا لأنماط كاريكاتيرية تعانى من فقر الدم واللحم أيضا، ويندر أن تقدم لنا شخصيات حقيقية بكل ما يميز الشخصية من حيوية وتفرد وغنى وتركيب معقد فى السمات والخصائص الباطنة والظاهرة. وقد يأخذ عليه القارئ أيضا أنه يقعر ملاحظاته عن تلك الشخصيات - أو الأخلاق والطباع كما يسميها - على ما يصدر عنها من أفعال وتصرفات سلوكية يسخِّرها لخدمة غرضه من إبراز العيب أو الخطأ أو الضعف الذى يريد تركيز أضوائه عليه وحده دون غيره (وهذا من آفات الغلو فى التصنيف الذى برع فيه المصنف الأول على الأصالة!) تاركا وراء ظهره ما يستلزمه رسم الشخصية الحية من تصوير الظروف العائلية والأطر المكانية والزمانية والأوضاع الطبقية والمهنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تؤثر عليها. ولكن كاتب هذه السطور - الذى أدركته كذلك لعنة الفن أو بركته لا أدرى ولمسته بعصاها السحرية المؤلة! -لا يمكنه أن يعمم هذا الحكم على إطلاقه، ولا يستطيع ضميره الأدبى ولا العلمى أن يحرم الرجل من الحاسة الأدبية والرؤية الفنية، وذلك على الأقل فى اللوحات التى يتطرق فيها لتلك الظروف والأوضاع لخدمة غرضه الذى أشرنا إليه من ناحية، ولأنه يطوى فى نفسه - رغم أنف التعليم الفلسفى الذى أنفق فيه عمره وجهده! - روح فنان لا شك فيه. لو لم يكن الأمر كذلك لما أثرت شخصيات هذا

الكتاب أو بعضها إذا شئنا الدقة على العديد من كتاب المسرح ابتداء من تلميذه الفذ ميناندر - كاتب الكوميديا الجديدة - إلى موليير فى القرن السابع عشر وكثيرين غيرهما من القصاصين والروائيين حتى عصرنا الحاضر كما سنرى بعد قليل...

(٧) لعل النزعة التى غلبت على ثيوفراسط وجعلته يميل إلى التنميط الكاريكاتيرى أن تكون راجعة إلى النزعة الشكلية أو الصورية التى تسلطت عليه ودفعته إلى وضع نماذجه فى قالب محدد لا تخرج عنه (هل نلقى الذنب مرة أخرى على صاحب النظرية المشهورة عن الصورة والمادة أو الشكل والمضمون كما نقول اليوم؟!) فهو يرسم جميع الطباع وفق تخطيط واحد لا يتغير ، إذ يبدأ بتعريف مفهوم الرذيلة أو الخطأ أو وجه الضعف والنقص الذى سيتكلم عنه، ثم يشرع خطوة خطوة فى وصف الأفعال وسرد المواقف التى تبين طبع المبتلى بتلك الرذيلة أو الضعف فى صورة عيانية حية تكاد تجعلنا نسير معه فى شوارع أثينا، أو ندخل معه فى بيوتها ودكاكينها وقاعات مجالسها الشعبية، أو نعايشه فى تصرفاته مع زوجته وأولاده وأصحابه وحتى فى ميدان الحرب التى يشنها بلده على أعدائها أو تضطر لخوضها دفاعا عن نفسها...

هل نقول إن التعريفات التى تتصدر اللوحات هى نتاج عملية منطقية بحتة لكى نلقى التهمة فى هذه المرة على المنطق ؟ أم نقول إن تلك التعريفات مع ما يترتب عليها من «أمثلة توضيحية» قد استخلصت من نسق محدد فى فلسفة الأخلاق - سواء كان هذا

النسق لأرسطو أو لثيوفراسط نفسه ؟ الواقع إن الأمرين مستبعدان. فنحن لا نلمس من الكتاب أن صاحبه قد حاول فى عرضه للرذائل والعيوب أن يستفيد على أى وجه من الوجوه من نظرية أرسطو المشهورة عن الفضيلة بحيث تكون الرذيلة أو العيب الذى يصوره مجرد طرف متطرف للسلوك الوسط المعتدل الذى نطلق عليه صفة الفضيلة. أما التعريف الذى يلجأ إليه - فهو ضرب من التبسيط والتحديد أو التثبيت الذى يعبر عن روح المنطق الصورى، كما يعدُّ عنصرا من عناصر التفكير القديم خصوصا منذ عهد أفلاطون وأرسطو حتى قيام المنطق الجدلى الحديث.

ومهمة التعريف الذى تبدأ به اللوحة هى تحديد مضمون المفهوم أو التصور والمعنى الذى تدل عليه الكلمة التى يراد تعريفها على النحو الذى ترد به فى لغة الكلام العادى لا فى لغة المنطق أو لغة المصطلح الفلسفى الدقيق. من أمثلة ذلك أن كلمة «دايزيدايمونيا(*)» - ومعناها الحرفى هو خشية الله - تعرَّف بالمعنى الشعبى الشائع الذى ينطوى على «الوسوسة» والاعتقاد الساذج فى الخرافات بأنها هى الجبن فى مواجهة القوى الإلهية (أو القوى الفائقة للطبيعة، راجع اللوحة رقم ١٦) كما أن كلمة «أيسخروكرديا(**)» أى السعى المشين إلى الكسب، تعرّف كذلك بالمعنى الشائع بين الناس عن البخل الفظيع والبخيل الجشع المنفر (راجع اللوحة رقم ٣٠) - فكأن

(*) Deisidaimonia.

(**) Aisxrokerdeia.

المقصود بالتعريف هو تنبيه القارئ لمعنى الكلمة المعرفة وتبرير الدوافع الكامنة وراء التصرفات والمواقف التى يتم سردها واحدا بعد الآخر، كأنها «حيثيات» الحكم الذى صدر منذ البداية!

والملاحظة أن هذه «الحيثيات» التى تعرض علينا الألوان المختلفة من السلوك المعيب أو المضحك أو المقزّز... إلخ تأتى من ناحية البنية أو التركيب اللغوى الأصلى على هيئة جملة واحدة (هو من النوع الذى، أو هو ذلك الذى) تتبعها سلسلة طويلة من الصيغ المصدرية المتلاحقة. ولا يغير ثيوفراسط هذا القالب إلا فى حالات نادرة نجده فيها يستعيض عنه بتعبيرات مقاربة كأن يقول مثلا : ومن عادته أن يفعل كذا وكذا أو أن لديه القدرة على كذا وكذا بحيث يستطرد فى الأوصاف التى تؤيد التعريف الذى بدأ به. هذه الأوصاف التى يسردها للتصرفات السلوكية تأتى عادة على شكل تقديرات وصفية لمجموعة من العادات التى يتبعها «الطبع» الذى يتحدث عنه، كما تستلزم مجموعة أخرى من اللوازم التعبيرية والمواقف السلوكية التى يتفاعل معها صاحب هذا الطبع ويسجلها المؤلف بصورة نمطية مطردة. وهذا الأسلوب النمطى المطرد يخلو فى معظم الأحيان من أى تنويع أسلوبى كما يستغنى عن أى زخرف بلاغى، بحيث نجد أنفسنا – كما سبق القول – أمام تقريرات موضوعية محايدة عن ألوان متفرقة من سلوك البشر العاديين فى حياتهم اليومية، وبحيث نتصور أننا أمام عالم نفسى سلوكى حديث يرصد الظواهر ولا يعطى نفسه الوقت ولا الفرصة لتحليل معانيها الباطنة أو دلالتها على

الحالة النفسية للشخصية التى يتحدث عنها. ومع ذلك فلا يصح مرة أخرى أن نعمم الحكم، لأننا نشعر فى بعض اللوحات أن الفيلسوف والعالم قد فك قيوده وترك نفسه للفنان أو للقاص الكامن فى داخله. بل إننا لنلمس هذا أحيانا فى تشكيل «المشاهد والمواقف المختلفة واللغة الدقيقة الحية المعبرة عنها. ويكفى فى هذا الصدد أن يراجع القارئ بعض اللوحات (مثل مروج الإشاعات والجبان فى اللوحتين رقم ٨ و٢٥ على الترتيب) ليرى كيف تحول القلم فجأة إلى ريشة ترسم موقفا حيا بالغ الطرافة والروعة لا ينقصه إلا أن يدخل فى بناء قصصى أو مسرحى أكثر تركيبا وأقدر على تضفير خيوط «الحبكة» والوصول بها إلى الذروة ثم الحل... ولو ألقينا على سبيل المثال نظرة خاطفة على لوحة المجامل (اللوحة الخامسة) لأدهشتنا قدرة ثيوفراسط على تصوير المواقف المضحكة لهذا الإنسان العجيب الذى يتسول رضا السادة بكل وسيلة فيكسب تعاطفنا معه ورثاءنا له، وربما التمسنا له الأعذار وفكرنا فى الأسباب الاجتماعية التى ألجأته لإهانة نفسه بهذه الصورة المضحكة المبكية. هل نستغرب بعد ذلك أن يكون هذا الكتاب منبع وحى لا ينضب لكوميديا الموقف وللسخرية القاسية أو الرحيمة من تفاهة «البرجوازى» وغباء الإنسان العادى أو سذاجته أو ضيق أفقه وإثباته على مر التاريخ أنه لا يتعلم أبدا من التاريخ ؟

(٨) ذكرت من قبل أن كتاب الطباع ليس عملا فلسفيا بالمعنى الدقيق ولا يندرج تحت فلسفة الأخلاق كما يفهمها المشتغلون بها.

ومع ذلك فهو عمل كتبه فيلسوف تتلمذ على المعلم الأول وكتبه فى الأخلاق، وله هو نفسه فلسفته الأخلاقية المستقلة من بعض الوجوه. فإلى أى حد تأثر بأستاذه فى شكل هذا الكتاب وفى مضمونه، وكيف انعكست فلسفته فى الأخلاق - ولو بصورة غير مباشرة! - على فهمه للطباع ورسمه لأنماطها الطريفة أو المقزّزة ؟

من المعروف أن أرسطو يتوسع خلال وصفه لإحدى الفضائل أو الرذائل توسعا شديدا فى عرضه لألوان السلوك والتصرفات التى تميز الشخص الذى تنطبق عليه تلك الفضيلة أو الرذيلة التى عنى بتحديد ماهيتها، أى أن الجانب العملى أو الحياتى المتعلق بالممارسة لم يغب عن بال صاحب الأخلاق إلى نيقوماخوس أو الأخلاق الأويديمية وغيرهما. بيد أن الإنصاف للحقيقة يقتضينا القول بأن «طباع» ثاوفراسط لا تفهم من جهة الأخلاق الأرسطية، بل على أساس فلسفته هو نفسه فى الأخلاق.

إن عنوان الكتاب لا يخلو فى حد ذاته من دلالة هامة. فثيوفراسط هو أول من استخدم كلمة «الطباع - خاركتير(*) للتعبير عن النفس الإنسانية ووصف دخيلتها. وأخذت عنه اللغات الأوربية هذه الكلمة مع المعنيين اللذين تتضمنهما : معنى «الطابع» الذى يدل عليه تركيبها اللغوى بما فى ذلك الأداة المستعملة فى الطبع أو الختم، ثم معنى «المطبوع» أو الهيئة الحاصلة من الطبع أو الختم (أو الصك

(*) العنوان الأصلى هو خاراكتيريس إثيكوى Xarakteres ethikoi أى الطباع الأخلاقية.

عندما تكون بصدد طبع العملة أو صكها...) ومن هنا يمتدّ المعنيان إلى الإنسان وطبعه الذى تكشف عنه ملامح وجهه أو سمات تعبيره ونطقه التى يمكن أن تتطبع بلهجة أو لكنة معينة. وفى الحالين يفهم من الطبع أنه ثابت لا يمكن تغييره، وإن أمكن تربيته وصقله وتهذيبه بوسائل مختلفة. ولابد أن تطبيق الكلمة مع المعنيين المقترنين بها على الإنسان هو الذى حمل ثيوفراسط على أن يضيف إليها صفة شارحة بحيث أصبحت هى الطباع الأخلاقية التى «تنطبع» على ذلك الجزء من أجزاء النفس الذى تمتد فيه جذور الدوافع التى تجعل الفرد يقدم على هذا الفعل أو ذاك، والذى لا دور للعقل فيه إلا بقدر طاعته لأوامره وإرشاداته. والواقع أن البنية اللغوية والشكلية للنماذج أو الأنماط الثلاثين ترتبط بالمعانى التى استخلصناها من كلمتى العنوان. فلا يكاد المؤلف ينتهى من تقديم تعريفه لمفهوم الطبع وللشخص الذى يتصف به حتى تتوالى الصيغ المصدرية التى تسرد علينا أنواع السلوك المختلفة من حيث هى نتائج مترتبة على ذلك الطبع الذى «تطبع» به الإنسان وانتهى الأمر. (ربما تتجلى هنا أيضاً الطبيعة «القدرية» للعقل والوجدان اليونانى، على الرغم من حديث بعض الفلاسفة – مثل أرسطو وثيوفراسط نفسه – عن الأسس المادية والبيولوجية للأخلاق والطباع الثابتة...)

ولكن ما هو الأصل فى هذه الطباع – أو الماهيات الأخلاقية والنفسية – الثابتة ؟

يرى أرسطو أن الفضيلة والرذيلة ينشآن بتأثير ثلاثة عوامل

متداخلة هى طبيعة الانسان، والتعود أو المران والممارسة، ودور العقل فى الإرشاد والتوجيه، مع العلم بأن دور العاملين الأولين ووزنهما أكبر وأهم. وإذا كان أرسطو يتصور الطبيعة على أنها مجرد استعداد أو قدرة على اكتساب الفضيلة عن طريق التعود والتعلم، فإن تلميذه ينطلق من هذه البداية ليقيم الفضيلة والرذيلة، ومن ثم الأخلاق بأكملها، على أساس بيولوجى... فالإنسان مفطور بطبيعته على استعدادات معينة للسلوك يسميها ثيوفراسط «بذور الفضيلة». وهى استعدادات يمكن تنميتها من خلال الرعاية والتوجيه والرقابة والتهذيب، أى باختصار من خلال التربية (وكلمة التربية بمعناها اللغوى الأصلى عند الإغريق تدل على الصوغ أو التكوين أو التشكيل أى على الطبع كما شرحناها من قبل...) ويترتب على هذا أن الإنسان بحكم طبيعته ومولده لا يمكن أن يكون كائنا كاملا، وإنما يمكنه بلوغ الكمال عن طريق التربية. وإذا انعدمت التربية أو أسيئ استخدامها أو انحرفت عن وسائلها وغاياتها الصحيحة فلابد أن يؤدى به ذلك إلى الانحراف. وطبيعى أن تكون التربية أبسط وأيسر فى السنوات المبكرة من حياة الإنسان، لأن «ماهيته» أو «جوهره» يكون أكثر مرونة وطواعية للتشكيل و«الطبع». ولو تصورنا إنسانا ينشأ بغير تربية فاسدة، فإن الدوافع الجامحة التى تتحكم فى أفعاله هى التى ستحدد ماهيته وتشكل «نواته» الباطنة، ومع الزمن تتصلب هذه النواة أو تتدرع كالسلحفاة بقشرة سميكة يصبح من المتعذر إن لم يكن من المستحيل اختراقها أو تغييرها إلا بتدمير صاحبها - لأن

هذا الإنسان قد انطبع بطابع ثابت هو الذى يحدد أفعاله بإرادته أو فى الأغلب الأعم بغير إرادته...

والطباع التى يقدمها هذا الكتاب بصور عيانية حية هى من النوع الأخير. وقد حفظ لنا ستوبايوس(★) فى موسوعته(٢٤٢) نصا مطولا بعض الشئ لثيوفراسط يمكن أن يوضح لنا رأيه فى التربية ولا بأس من ذكره لتدعيم الأفكار السابقة :

«من الواضح أن التربية، وهذا أمر يتفق عليه من الجميع، تهذب النفوس، وذلك من خلال ما تقوم به من تخليصها من الانحراف وتجنيبها الآثار المترتبة على غياب المبادئ والأصول الأخلاقية. وبهذه الطريقة يتم كذلك ملاءمة ماهية الإنسان للحياة فى الجماعة وتطويعها. هنا لا يصح قطعا أن نوجه اللوم إلى الأوساط (أو الناس العاديين)، إذ تنقصهم الحرية الكاملة التى تمكنهم من تشكيل حياتهم. وعلى العكس من ذلك يصح أن نلوم أولئك الذين ينشأون حقا كبشر أحرار حرية حقيقية ويملكون الوسائل الكافية التى تتيح لهم أن يتوصلوا لأى شكل من أشكال الحياة يحبونه، ولكنهم بالرغم من ذلك يهملون القيمة العليا. إن سلوكهم فى الواقع سلوك

(★) فيلسوف وكاتب يونانى من القرن الخامس بعد الميلاد، سمى على اسم مسقط رأسه ستوبوى فى مقدونيا. كان من أنصار الأفلاطونية الحديثة التى ازدهرت تعاليمها منذ القرن الثالث – وضع «منتخبا» يضم مقتطفات مختارة من حوالى خمسمائة شاعر وكاتب وفيلسوف يونانى فى أربعة كتب رتبها ترتيبا موضوعيا منظما – وترجع أهمية هذه «الموسوعة» إلى الشذرات القيمة التى اشتملت عليها من كتب وأعمال مفقودة. وقد تابع نشرها فى خمسة مجلدات من سنة ١٨٨٤ إلى سنة ١٩٢٣ الأستاذان فاكسموت وهينزه وأعيد نشرها فى برلين سنة ١٩٥٨ عن الأصل الذى نشر فى مدينة بال (بازل) بسويسرا فى عام ١٥٥١.

متناقض. فهم إذا تركت لهم حرية الاختيار انتقوا أعظم المدن ليسكنوها، وأفضل البشر ليكونوا أصدقاءهم وجيرانهم. أما إذا ترك لهم أن يختاروا الحياة كما تتجلى فى أفضل أشكالها فانهم يقللون من شأنها ويصرِّفون أخص شئونهم تبعا للصدفة المحضة بغير أن يتأنوا فى فحصها أو ينظروا فيها نظرة نقدية. وإذا اضطروا للقيام برحلة راحوا يتسقطون الأخبار من الآخرين ويبحثون عن دليل يمكن أن يقودهم ويجنبهم الأخطار. ولكنهم، كما يقال، يرمون الزهر على الحياة كلها، ويقعون - بلا وعى أو خبرة وحسبما تشاء الصدفة - فى أسوأ أشكال الحياة التى يمكن تصورها. ومع ذلك فإن الأسوأ والأشد خطرا من هذا الاختيار الذى وقعوا فيه هو العدول عن الطريق الخاطئة التى ساروا فيها بالفعل. إن الضرر فى هذه الحالة كبير والتراجع عنه عسير، بل يكاد أن يكون فى حكم المستحيل. فلا الزمن يتيح الفرصة لإعادة التفكير، ولا طبيعة الإنسان تقدر على أن تتعلم شيئا أفضل إذا كانت قد نشأت على الشر. صحيح أنها تواصل اتخاذ القرارات والحكم على بعض الأمور الأخرى حكما أفضل، ولكنها تستمر فى الحياة التى تعودت عليها...»

(٩) هكذا يتيح لنا كتاب «الطباع»، دون أن يجاريه فى ذلك أى كتاب آخر وصلنا من العصور القديمة، أن نطل على حياة الناس وأعمالهم وأوجه نشاطهم فى مجتمع الطبقة الوسطى الأثينية فى مطلع العصر الهللينى : فنحن نتجول - كما سبق القول - فى الأسواق، وندخل دكان صانع الأحذية مع المتملق الذى يقرّظ قدم

سيده ويقول إنها أبدع من الحذاء الذى يريد أن يشتريه (راجع اللوحة رقم ٢) ونستمع إلى كثير الكلام الذى يغرق رجلا لا يعرفه فى سيل كاسح من الأقوال والأحلام والتأملات والحسرات على سوء الأحوال فضلا عن الطموحات الشخصية والآمال (اللوحة ٣)، ونرى كيف يقف الوقح وقليل الحياء فى دكان الجزار بالقرب من الميزان ولا يستحى من وضع قطعة لحم أو عظم فى كفته أو يخطف على الأقل شيئاً من العفشة (كما تسمى المصارين فى العامية المصرية!) ثم ينصرف ضاحكاً (اللوحة ٩)، وكيف يتسكع الفظ بين الدكاكين ويفرض ظله الثقيل على الباعة ويخطف أثناء ثرثرته معهم جوزة من هنا وقطعة فاكهة من هناك (رقم ١١)، وكيف يختال الطموح المغرور فى السوق بثياب الفرسان حتى بعد انتهاء موكب الاحتفال لكى يلفت إليه الأنظار (رقم ٢١) ويخفى الوضيع مشترواته من اللحم والخضر فى طيات ثوبه أثناء رجوعه إلى بيته (٢٢) ويتنطع الفَشَّار فى سوق الخيول مدعيا أنه يريد أن يشترى خيولا أصيلة (٢٣).

وإذا غادرنا السوق وما يجرى فيه ودخلنا أحد الحمامات العامة شاهدنا وسمعنا الريفى وهو يغنى (٤) والفظ الذى يضن على صاحب الحمام «بالبقشيش» الذى يستحقه (٩) والمقزز الذى يستعمل زيتا قذراً بحجة أنه يريد أن يرفع نبضه أو ينتعش (١٩) والمتعلم على كبر وهو يتبختر ويهز عجيزته مقلدا اللاعبين فى حلبة المصارعة ويحاول أن يتدارك ما فاته من العلم والمعرفة ومباهج الشباب وألعابه (٢٧) والبخيل وكيف يتطيب بزيت مستعار ويتجمل

بثياب غيره من الناس ويتفنن فى الشح والدناءة(٣٠). ثم نذهب إلى المسرح أيضا فنرى كيف يرتب المتملِّق وسائد المقعد للشخصية المهمة التى يتملقها بدلا من أن يترك ذلك للخادم أو العبد كما يتعمد الجلوس فى الصفوف الأولى مع الشخصيات المرموقة(٥) وكيف يطلق الفظ نكاته السخيفة (١١) وينعس البليد أثناء العرض المسرحى (١٤) ويرفض البخيل دخول المسرح إلا إذا ضمن ألاّ يكلفه ذلك ثمن التذكرة (٣٠) - وأخيرا نجد أنفسنا فى المجلس الشعبى حيث نستمع إلى بعض الخطب ونلاحظ تأفف الغنى المتعالى من جلوس الفقير إلى جواره، كما نتابع تصرفات الناس سواء كانوا ضيوفا أو مضيفين، وأصدقاء أو معارف، ومشاركين فى تقديم الأضاحى أو عالة عليها. وتسقط الأضواء على الحياة السياسية والاقتصادية والدينية التى يضطرب فيها الناس فنعرف آراءهم ونسمع تعليقاتهم وإشاعاتهم ونفهم أوضاع السادة والعبيد، والأزواج والزوجات، والمواطنين والأجانب، ونلتقط مشاهد ومسامع من اللغة الجارية والعبارات والشعارات السائدة، ونخرج من الكتاب كما نخرج من دار السينما بعد مشاهدة عرض ممتع لحياة زاخرة متلاطمة بأمواج من البشر والأفكار والعادات والأخلاق والطرائف والغرائب التى يصعب نسيانها...

(١٠) ربما أكون قد أسرفت على القارئ فى تصوير «الخلفية» الفلسفية لهذا الكتاب إعمالا للدقة والإحاطة على قدر الطاقة، لكن الكتاب نفسه يمكنه أن يغنى القارئ عن أى تمهيد طال أو قصر عن

مدى أهميته من الجوانب التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. فهو قادر بنفسه على مخاطبة القارئ مباشرة والحديث الشيِّق معه بلا مقدمات فلسفية أو غير فلسفية... ولا يرجع هذا للشكل البسيط الذى صيغ به على هيئة «تقارير عن الأحوال» كما قد نقول اليوم، ولا إلى المواقف وردود الأفعال المضحكة التى تبعث فينا الرغبة فى الابتسام، بل ولا ترجع للبراعة الفائقة فى رسم «الطبع» بخطوط مرهفة سريعة وشديدة الدقة والإيحاء. إن تأثرنا به - ميلا أو نفورا - يرجع إلى المادة ذاتها، أعنى إلى نماذج الشخصيات أو الطباع التى تتمثل أمام أعيننا وهى تفيض بالحيوية وتضطرب وتتعثر تحت ثقل الهموم والمشكلات، أو تختال وتتبختر مزهوة بنفسها وحظها وكأنها مخلدة، أو تمشى بطيئة محنية الظهور تحت وطأة الطبيعة الموروثة التى تقهرها قهر القدر «الإغريقى» المتهجم كأنها دمى عاجزة سلبت منها الإرادة والعقل بعد ما حرمت من التربية والصقل...

وليس غريبا بعد هذا - كما سبق القول - أن يجد القارئ المعاصر فى هذه النماذج والأنماط مرايا تعكس بعض معارفه وأصدقائه وأهله، وليس عجيبا أن يصل به الأمر إلى حدِّ أن يجد فيه نفسه أو جزءا من أجزائها على الأقل (إذا أخذنا بالمفهوم السائد فى ذلك الحين ومنذ أفلاطون عن أجزاء النفس وقواها، لا بالمفاهيم الحديثة عن النفوس المتصارعة فى داخلنا - تذكر فاوست وفرويد والمواكب المتلاحقة لعلماء النفس والطب العقلى...) ولا يستبعد أيضا

أن يلاحظ التناظر الشديد بين بعض هذه الطباع - حتى فى حركاتهم وإيماءاتهم وتعبيراتهم ولازماتهم اللغوية... إلخ - وبين بعض المحيطين به، إلى الحد الذى ينسيه الهاوية الزمنية التى تفصله عنها وتبلغ كما أشرنا مرارا ما يزيد على الألفين وثلاثمائة عام (من حسابنا البشرى للحاضر الأبدى الممتدّ الذى يتحدى حدودنا الهشة وتقسيماتنا العاجزة!) ولا يتصور القارئ أننى أجره إلى أوهامى وأحلام يقظتى، لأنه لن يكون أول من مر بهذه التجربة ورأى نفسه وناس عصره فى «الطباع»... يكفى القول بأن أحد الرهبان فى العصر الوسيط قد تعرف - أثناء قيامه بنسخ الكتاب - على بعض زملائه الذين يعيشون معه فى الدير من خلال عدد من أصحاب الطباع، وأنه قد استبدل سهوا أو عمدا لا ندرى! - بكلمة «الورش» أو «المصانع الصغيرة» التى وردت فى بعض اللوحات كلمة «الأديرة»(★) - وهذا شبيه بما صنعه مترجم الكتاب إلى الفرنسية (١٦٨٨) وهو لابروبير (١٦٤٠ - ١٦٩٦) الذى لم يكتف بترجمة الأصل - ترجمة فقيرة وغير دقيقة! - وإنما أسقط شخصياته وطباعه على شخصيات عصره وبلده التى لم يرحمها قلمه الساخر سخرية مرة...

هل نستدل من هذا - كما سبق أن فعلنا - على الجانب «الثابت» من الطبيعة الإنسانية؟ وهل يوافقنا أحد اليوم على هذا التعميم عن

(★) إرجاستيريا Ergasteria أي الورش، ومونَستيريا Monasteria أى الأديرة.

طبيعة إنسانية أو عن «ثبات» ينكره التغير والتحول المستمر فى كل شئ ؟ الواقع أن الذى نقصده أبسط من ذلك بكثير. فالوحدة التى نتحدث عنها بين أبناء البشر لا تتجلى فحسب فى اشتراكهم فى الآمال والأحلام والمخاوف والآلام، وإنما تؤكد نفسها قبل ذلك فى أخطائهم الصغيرة وجوانب ضعفهم الكثيرة وتعثر خطواتهم على طرق طموحهم الذى يفلت عادة من كل الحدود. ذلك فيما أظن هو الجانب الذى يمكن القول بأنه مشترك بين البشر ، أو أنه يوحد بينهم على الرغم من بعد الشقة بينهم فى المكان والزمان واللغات والأديان والألوان... وهذا الجانب المشترك هو الذى عجزت أساليب التربية فى أيام ثاوفراسط أن تغير منه شيئا، ولعل ذلك العجز كان أحد الأسباب التى حفزت فيلسوفنا الأديب على تقديم «شواهده» على سوء التربية والتعليم وفساد الطباع والأخلاق - ترى ماذا كان يمكن أن يفعل لو عايش أو حتى سمع عن «مافيا» التعليم الفاسد عندنا وقبح بعض «المعلمين» الذين حولوا العلم إلى سمسرة حقيرة وتجارة رخيصة وإرهاق وحشى للتلاميذ المساكين ولآبائهم المظاليم ؟! - وهل يعزينا قليلا أن نعاين نفس الوجوه القبيحة قبل ثلاثة وعشرين قرنا، وإن كان قبح الوجوه المعاصرة أشد ضراوة وخبثا وبشاعة مما كانت عليه الطباع القديمة التى تبدو بالقياس إليها كالأطفال السذج المساكين أمام عمالقة الشر والغدر ووحوش الجشع والأنانية والانتهازية المفترسين...

(١١) ونصل إلى تأثير «الطباع» على العصور والكتاب والقراء

فنجد أنه يحقق المقولة التى يبدئ فيها النقد الحديث ويعيد من أن العمل الواحد تختلف تفسيراته باختلاف القراء الذين يتلقونه «ويبدعه» كل واحد منهم على طريقته أو على الأقل يشارك فى إبداعه. فقد تراوح «التلقى» للكتيب الذهبى بين التحمس له والإضافة إليه من فرط الإعجاب به، وبين إهماله والسكوت عنه طوال عصر أو قرن كامل.

وكما شعر كل عصر – وربما كل قارئ ! – بأن «الطباع» يخاطبه من زاوية معينة، فكذلك وضع فيه كل عصر أو قرأ فيه مشاعره وأفكاره وهمومه...

بدأت رحلة التأثر من أيام ثاوفراسط نفسه التى ازدهرت فيها الكوميديا الجديدة على يد تلميذه النابغة «ميناندر» الذى استفاد أكبر الفائدة من فكرة «ثبات» الطبع واستحالة تغييره – وقد تأكد هذا بعد العثور على مسرحيته «الديسكولوس» التى ألقت الضوء على تغلغل هذه الفكرة وغيرها فى مسرحه...

ومن الكوميديا الجديدة امتدت خيوط التأثير على كتاب الكوميديا الرومان وبالأخص بلاوتوس وتيرينس اللذين «اقتبسا» (بالمعنى الشائع اليوم فى حياتنا المصرية والعربية!) أعمال ميناندر إلى حدِّ النقل الحرفى الذى سماه النقاد بعد ذلك «إعادة ابداع» أو محاكاة خلاقة...

وعندما بدأت الفلسفة تتحول منذ النصف الثانى من القرن الثالث قبل الميلاد – كما يقول برتراند راسل فى كتابه تاريخ الفلسفة

الغربية – إلى عربة إسعاف، وأدركت أن واجبها ومهمتها الملحة (فى زمن الكساد والبؤس والأوبئة والصراعات بين خلفاء الاسكندر وضياع استقلال المدن والأفراد... إلخ) هى هداية النفوس إلى طريق الحياة السعيدة، وشفائها من الرذيلة والخطأ والضعف التى كان الناس يعتبرونها من أمراض النفس التى لا يشفيها إلا الفيلسوف! – ازدهرت المدارس والأفكار والكتابات الأخلاقية سواء من جانب الأبيتوريين والرواقيين أو من الأكاديميين (نسبة إلى أكاديمية أفلاطون التى غلبت عليها المذاهب الشكية منذ ذلك الحين) أو المشائين أنفسهم.

وأصبحت «الطباع» هى النموذج والمثل الأعلى من ناحية الشكل والمضمون لكل من يكتب عن الأخلاق السائدة ويستعين بلوحاتها أو «بورتريهاتها» فى تشخيص أمراض العصر. وعلى هذه الصورة فهمت «الطباع» فى مدرسة ثيوفراسط نفسه، كما تدل على ذلك بعض كتابات تلميذيه ليكون(★) وأرستون الكيوسى(★★). ومن هذين اتصلت بعض خيوط التأثير المباشرة أو غير المباشرة إلى الفيلسوف

(★) تولى رئاسة المدرسة المشائية فى أثينا من عام ٢٧٠ إلى عام ٢٦٦ ق.م وانصرفت معظم جهوده إلى شرح فلسفة أرسطو.

(★★) ينتمى إلى الجيل الأول من الفلاسفة الرواقيين وتتلمذ على زينون مؤسس الرواقية (من حوالى ٣٣٦ – إلى ٢٦٤ ق.م) رفض الاشتغال بالمنطق والفيزياء واهتم فى المقام الأول بفلسفة الأخلاق وتأكيد المثل الأعلى للحياة العملية الفاعلة. ولم أعثر للأسف فيما بين يدى من مراجع على سنة ميلاده وموته...

الأبيقورى فيلوديم(*) والفيلسوف والكاتب الرواقى سينيكا(**) ومن هنا أيضا تسللت بعض الخيوط إلى أدب السخرية والهجاء عند الرومان (راجع، على سبيل المثال، الثرثار ضمن هجائيات هوراس التى تميزت ببراعة رسم الشخصيات والمواقف وقوة الملاحظة الثرثرات ١-٩) وفى أواخر العصر القديم اتجهت الأنظار إلى «الطباع» بوصفه كتابا فى الأخلاق يمكن أن يشفى الناس من الرذائل ويجنبهم الوقوع فى الزلل. وتدخلت فيه بعض الأقلام فمهدت له بمقدمة وألحقت به بعض التعليقات الأخلاقية. ثم ضم الكتاب بعد ذلك بقليل إلى مجموعة الكتابات والشروح المدرسية فى الخطابة والبلاغة، وتركز الاهتمام على المادة التى يحتويها كما اعتبر نموذجا

(*) هو أحد فلاسفة المدرسة الأبيقورية التى أسسها أبيقور الساموسى سنة ٣٠٦ ق.م واتجهت مثل أغلب فلسفات العصر إلى الأخلاق كطريق للحياة وبلوغ السعادة التى تقوم على اللذة، لاسيما اللذة الروحية والعقلية التى هى أبقى من اللذات الحسية والمادية وأقدر على الوصول إلى حالة الطمأنينة والصفاء (الأتاراكسيا) التى يهدف إليها الحكيم المعتزل بعيدا عن إزعاج العالم الخارجى والسلطات. تتلمذ عليه هوراس أكبر الشعراء الغنائيين عند الرومان (٦٥-٨ ق.م).

(**) من ٤ ق.م إلى ٦٥ بعد الميلاد، هو الفيلسوف والأديب الرواقى الأشهر، ولد فى قرطبة ومات بأمر من تلميذه وربيبه الطاغية نيرون. والفلسفة عنده طريق للهداية إلى الحياة الأخلاقية والدينية التى تليق بالحكيم المعتدل الفاضل، وأسمى الفضائل عنده هو الصدق مع النفس من خلال الصرامة معها والتعاطف العقلى مع الآخرين والإيمان بوحدة البشرية. أثر بشخصه وكتابته على الحياة السياسية والأدبية فى روما، وعمل على نشر المذهب الرواقى فيها. أعطت حياته الجادة الصارمة، ثم انتحاره الإرادى وشجاعته فى مواجهة الموت مصداقية كبيرة لمثله الأخلاقية التى جسدها فى حياته (على الرغم أو بسبب ثرائه الفاحش!) وأثبت بها قدرة الإنسان على الارتفاع فوق الضعف وفوق الموت نفسه. من أهم كتاباته الفلسفية رسائله عن الحياة السعيدة وعن قصر الحياة ورسائله إلى تلميذه لوسيليوس، ومن أهم مسرحياته التراجيدية هرقل فوق جبل أوبتا (ترجمها للعربية الدكتور أحمد عتمان) وأوديب (ترجمها الأستاذ يوسف الشارونى) وظهر كلاهما فى سلسلة المسرح العالمى الكويتية...

يُحتذى فى رسم الشخصيات.

وامتد هذا الاهتمام إلى أواخر العصر البيزنطى، فأقبل القراء على الاطلاع عليه فى شغف شديد. يشهد على ذلك العديد من مخطوطاته التى وصلتنا من ذلك العصر، بالإضافة إلى «مقتطفات ميونخ» التى تحوى واحدا وعشرين لوحة من لوحاته (من المتملق إلى الطموح) وإلى الجهود التى بذلها ماكسيموس بلانوديس لإصلاح النص الذى أصابه التشوه الشديد.

ولم يعرف كتاب الطباع فى العرب إلا فى أوائل عصر النهضة عندما ترجمه «لابودا كاستيليونكيو (١٤٣٠) إلى اللاتينية وتمت مراجعة الترجمة بعد ذلك أكثر من مرة. وأخيرا طبع الكتاب (من اللوحة الأولى إلى الخامسة عشر) وظهر سنة ١٥٢٧ فى مدينة نورنبرج. وقد ارتبط ظهور هذه الطبعة بأسماء بعض أعلام عصر النهضة (مثل فيليبالد بيركهَيْمر ١٤٧٠ - ١٥٣٠ من رواد النزعة الإنسانية، وكان له الفضل فى الحصول على مخطوطة الكتاب من بيكوديلا ميراندولا(*). وفى إعداده للنشر وإهدائه إلى فنان عصر

(*) فيلسوف وأحد رواد النزعة الإنسانية الشجعان فى إيطاليا (١٤٦٣ - ١٤٩٤) حمل جملة شعراء على التنجيم والمنجمين، ودعا بكل الجرأة والقوة إلى الأخذ بالعلم والحقيقة من كل العصور والحضارات، معارضا بذلك التحيز الشديد فى عصره لحضارة العصر اليونانى والرومانى القديم. دافع دفاعا حارا عن «كرامة الإنسان» فى خطبته المعروفة بهذا الاسم، مؤكداً أن الإنسان هو الكائن الحى الوحيد الذى لم يخلقه الله على نموذج ثابت أو مثال محدد، ولهذا يمتلك الحرية التى تمكنه من الوصول بنفسه إلى الكمال - راجع ترجمة كاتب السطور وشرحه لهذه الخطبة الهامة فى العدد التجريبى الأول من مجلة «نداء» الصادر فى شهر فبراير سنة ١٩٩٦.

النهضة الكبير ألبرشت دور...) غير أن الكتاب لم يعرف على نطاق واسع إلا بفضل الشروح الدقيقة التى أضافها اسحق كازاوبونوس إلى طبعته التى صدرت فى لندن سنة ١٥٩٢ وأعيد نشرها بعد ذلك مرات عديدة.

والظاهر أن هذه الشروح ظهرت فى وقتها المناسب. فقد تزايد الاهتمام فى أوربا بأخلاق البشر وطباعهم، وصحا الوعى صحوة جديدة على الخصائص التى يتفرد بها كل واحد منهم، وعلى جوانب الضعف والنقص التى تعتريهم. وأصبح النقد الاجتماعى مطلبا ملحا عند الجميع، ووصل الشغف بمعرفة طباع الناس وتحديد سماتهم الأخلاقية إلى الحد الذى غدا معه رسم اللوحات (أو البورتريهات) لعبة اجتماعية يشارك فيها العلماء وغير العلماء. ولقى «الكتيب الذهبى» فى أوربا القرنين السابع عشر والثامن عشر من الحماس والانتشار ما فاق كل تصور وانعكس كذلك على بعض الأعمال المتميزة. ففى انجلترا انهمرت الكتابات الأدبية المختلفة عن الطباع فى القرن السابع عشر إلى الحد الذى يمكن معه القول بأن أصحابها استطاعوا أن يؤسسوا نوعا أدبيا خاصا بها. ويكفى أن نذكر أسماء بعض هؤلاء الكتاب الذين أوشك عددهم أن يفوق الحصر : جوزيف هال، وجون ستيفنز، وسير توماس أوفربرى، ونيكولاس بريتون، وبن جونسون، وجون ايرل، وتوماس فلر وصمويل

بتلر(*). واستجابت بعض الصحف الأسبوعية فى بداية القرن الثامن عشر لعطش القراء لهذا النوع المحبوب من الكتابة فخصصت التاتلر والاسبيكتاتور والجارديان(**) صفحات منها لوصف الطباع ورسم الشخصيات (وربما بدأت من هنا رحلة هذا الفن البديع الذى نسميه فن الكاريكاتير...(***)) وفى فرنسا تفوق جان دولا بروبير (١٦٤٥ - ١٦٩٦) الذى سبق ذكر ترجمته للطباع فى سنة ١٦٨٨ وإضافاته إليها من واقع ملاحظاته الحادة لشخصيات عصره والمدينة التى كان يعمل بها (وهى كايين). ويكفى للتعبير عن الترحيب الذى لقيه هذا الكتاب أن تسعين كتابا آخر ظهرت فى فرنسا وحدها بين عامى ١٦٨٨ و١٩١٧ تقليدا له ونسجا على منواله. واخترقت موجة التقليد حدود انجلترا وألمانيا فصدر كتاب ثيوفراسط الانجليزى «لمؤلفه بوير سنة ١٦٩٢، كما قلدته فى ألمانيا هجائيات مختلفة وضعها ج. و. رابينر (١٧١٦ - ١٧٧١) لينتقد فيها مظاهر الشطط والبذخ والادعاء لدى بعض شخصيات عصره، وكذلك بعض أعمال كرستيان جيللرت

(*) إليك هذه الأسماء برسمها الأصلى: Joseph Hall, John Stephens, Sir Thomas Overbury, Nicholas Breton, Ben Johnson, John Earle, Thomas Fuller, Samuel Butler.

(**) وهذه هى أسماء الصحف التى لايزال بعضها على قيد الحياة :

Tatler, Spectator, Guardian.

(***) لا أستطيع أن أفتى فى هذا الموضوع الذى لم تتيسر لى دراسته، وإن كنت ألاحظ أن «التشخيص الكاريكاتورى» الفكه قديم قدم الحضارات العريقة فى مصر ووادى الرافدين على سبيل المثال لا الحصر، كما أنه يزدهر بازدهار النقد الاجتماعى وتلهف الناس على التطور والتغيير وإزالة السدود التى تقف فى طريقهما... ولعل ازدهار الكاريكاتير فى بلادنا العربية فى نصف القرن الأخير شاهد على هذا...

(١٧١٥ - ١٧٦٩) التعليمية والوعظية التى اشتهر بها كالمحاضرات الأخلاقية (١٧٧٠) والقصص والحكايات الخرافية على لسان الحيوان (١٧٤٦) ويصعب متابعة جميع الأعمال التى حاكت كتاب ثيوفراسط فى شكله ومادته محاكاة مباشرة أو غير مباشرة، لأن معظم هذه الأعمال مزيج من التقليد والأصالة، وفيها تنويعات وإضافات «وإسقاطات» من وحى العصر تجعلها خليطا غريبا من النقد الاجتماعى والوعظ والإرشاد الدينى والأخلاقى والهجاء الكاريكاتيرى بحيث يمكن أن تعدَّ مساهمة مبكرة فيما سمى بعد ذلك بعلم الطباع(*)...

لكن الحظ لم يحالف الكتاب فى رحلته الطويلة على الدوام... فقد بدأ اهتمام القارئ العام بالأصل والنسخ المقلدة أو الأصلية فى التراجع الشديد منذ أوائل القرن التاسع عشر، وحلَّ عالم اللغويات والمؤرخ والناقد الأدبى والاجتماعى ومحقق النصوص المخطوطة... إلخ محل الأديب والقارئ العادى، وذلك لإضاءة النص وتحديد قيمته

(*) يرجع الاهتمام بالطباع كما رأينا إلى العصور القديمة - لكن تأسيس نظرية أو علم للطباع حديث نسبيا، وقد ازدهر البحث فيه وتعددت النظريات التى ترجعه إلى الأسس والعوامل الوراثية والفسيولوجية والنفسية التحليلية... إلخ خلال النصف الأول من القرن العشرين إلى أن أصبح - على مبلغ علمى - جزءا من علم الأنثروبولوجيا ومن الأنثروبولوجيا الفلسفية بوجه خاص. والبحث فى الطباع يحاول الكشف عن حقيقتها وتطورها ودلالتها على الشخصية فى مجموعها و«الطابع» الذى تنفرد به عن غيرها وتعمل على إظهاره العوامل السابقة من تكوين وراثى وجسمى ونفسى وتفاعل مع البيئة والمجتمع... إلخ ومن أبرز الأسماء الحديثة التى شاركت فى البحث فى الطباع فرويد وآدلر ويونج وكريتشمر وكلاجيس وليرش وشبرانجر وينيش وروتاكر وشنيدر والفيلسوف لوسين وغيرهم...

ومكانه من «نسق» ثاوفراسط الفلسفى الذى ما يزال العلماء عاكفين على بلورته والتغلب على صعوباته ومشكلاته . وزحفت موجات النقد الاجتماعى فأيقظت الاهتمام به عند بعض أدباء العصر الحاضر مثل الياس كانيتى على سبيل المثال فى كتابه البديع الذى جمع فيه خمسين طبعا أو شخصية تحت هذا العنوان : «شاهد الأذنين». ولست أدرى إن كان أديبنا العظيم نجيب محفوظ فى «مراياه» قد استلهم هذا الكتاب العجيب أو لم يستلهمه، فالمهم أنه قدم فيه لوحات رائعة رصدها خياله الخصب وقلمه الفياض من واقع الحياة والناس من حوله، وأضافها إلى رصيد متحفه الرائع من الطباع والشخصيات شديدة التنوع والحيوية والتأثير...

(١٢) استبعدنا على الصفحات السابقة أن يكون «الطباع» كتابا أو جزءا من كتاب فى الأخلاق وإذا كنا قد توقفنا قليلا عند كتب ثيوفراسط الأخرى وفلسفته الأخلاقية وجهوده فى كل ميادين «العلم» المعروفة فى عصره، فقد حاولنا من وراء ذلك أن نضع الكتاب فى السياق العام لتفكير صاحبه وحياته وظروف عصره المضطرب، لأن الكتاب فى نهاية الأمر قد خطه قلم فيلسوف...

ونسأل أنفسنا الآن عن حقيقة هذا الكتاب وطبيعته بعد أن عرضنا باختصار لتأثيراته عبر العصور التى قرأته قراءات مختلفة.

يؤكد الاستاذ «فيلاكوت» مترجم الكتاب إلى الانجليزية(*) أن

(★) ثيوفراسط، الطباع (مع مسرحيات ميناندر وبقية الشذرات المسرحية) – ترجمة فيليب فيلاكوت، الطبعة الثانية، ص٩ – ١٢ – لندن، سلسلة كتب بنجوين، ١٩٧٣ Theophrast; The Characters - & Menander, Plays and Fragments. Translated by Philip Vellacott. Second Edition. London, Penguin Books, 1973, P.9 - 12.

الكتاب لم يقصد به على الإطلاق أن يكون عملا أدبيا مستقلا، ويعلل ذلك بجفاف لغته واطراد أسلوبه على نمط (متكرر) لا تنوع فيه، وخلوه من الرشاقة والجمال وروعة البيان التى اشتهرت عن صاحبه فى العصور اليونانية والرومانية القديمة وأشاد بها شيشرون على وجه الخصوص... وإذا كان قد أثر على الأدب الأوربى الحديث وساعد على خلق نوع أدبى بأكمله للكتابة عن الطباع، فلا يزال الغرض من تأليفه غير واضح، على الرغم من التسليم بأنه كتاب فريد ولا نظير له فى العالم القديم...

ويرجح المترجم الأنجليزى أن الكتاب كان «ملحقا توضيحيا» لكتاب لم يصلنا عن فن كتابة الكوميديا(*). وهو يوضح هذا بقوله أن كوميديا ميناندر (٣٤٣ - ٢٩١ ق. م) - وهو لا يذكر ثاوفراسط إلا ويذكره معه فى نفس واحد! - كانت تفصلها فى ذلك الحين عن كوميديا أرسطوفان فجوة زمنية واسعة تقدر بثلاثة أجيال، وأن الناس فى تلك الفترة المتأخرة كانوا مشغولين بالتفكير فى طبيعة الكوميديا، ويحتمل أن تجاربهم فى هذا الصدد لم تؤد بهم إلى شئ، حتى بزغت الكوميديا «الواقعية» الجديدة على يد تلميذ ثاوفراسط الرائع. ولما كان كلاهما قد سجل بقلمه الكثير من ملامح الحياة اليومية وعادات الناس فى أواخر القرن الرابع - بدليل أننا نجد أن

(*) ربما يؤيد هذا الفرض أن ديوجينيس اللائرسى يضع - فى ثبت العناوين التى ذكرها لمؤلفات ثاوفراسط - كتابا عن الكوميديا يحمل فى ترتيبه لها رقم ١٤١، كما يثبت له كتابا أو بحثا آخر عن فن الإلقاء فى التمثيل تحت رقم ١٦٩ - ومع ذلك يبقى الفرض السابق عن ملحق الكتاب الذى لم يصلنا مجرد فرض محتمل...

بعض ما رصده ثاوفراسط من قسمات شخصياته وطباعها قد أخذه ميناندر بنصه تقريبا فى عدد من مسرحياته وفى تصرفاته وعادات بعض شخصياته (مثل عادة «السلف» التى لاترحم شيئا، من الملابس إلى الشعير والدقيق إلى أدوات الطبخ!) وهذا كله يرجع عنده (أى عند المترجم الانجليزى) وجود علاقة قوية بين طباع ثاوفراسط وكوميديا تلميذه الذى يستبعد تماما ألا يكون قد اطلع عليها وتأثر بها تأثره بأستاذه و«أحاديثه» الإلهية كما وصفها أرسطو على نحو ما عرفنا من قبل. بل إنه ليرجح أيضا وجود علاقة قوية بين « الطباع» وبين أرسطوفان (من حوالى ٤٤٥ إلى حوالى ٣٨٦ ق.م) فهل يمكن القول أن ثاوفراسط قد تأثر بشكل من الأشكال بسيد الكوميديا القديمة أثناء رسمه «لطباعه» ومن ثم انتقل هذا التأثر إلى تلميذه الذى كان أكثر توازنا وواقعية من أرسطوفان، كما أن شخصيات ميناندر – على خلاف شخصيات ثاوفراسط النمطية التى يخيم على أغلبها الاطراد والملل والتزمت! – شخصيات فردية متفجرة بالحيوية والتنوع والتناقض أيضا، لأنها ببساطة أكثر إنسانية وأكثر فنية؟... ومما يقوى من علاقة الارتباط الوثيق بين «الطباع» وكوميديات ميناندر أن كليهما قد كتب أعماله إبان الفترة المضطربة التى جاءت بعد ضم المقدونيين – على عهد فيليب والد الاسكندر – لبلاد اليونان بأكملها، أى بعد سنة ٣٣٨ ق.م فقد انصرف الناس فى الطباع وفى الكوميديات إلى حياتهم اليومية ومشاغلها ومشكلاتها الآنية من تسوق وبيع وشراء وثرثرة ورفع دعاوى قضائية وزواج وحب وشجار

وترويج إشاعات (انظر على سبيل المثال اللوحة الثامنة عن مروج الإشاعات التى تعكس بعض أحداث العصر وصراعاته) وليس عجيبا بعد ذلك أن يصور الكاتبان أو يسجلا كل منهما على طريقته تلك الحياة العادية التافهة التى لا تخلو بطبيعة الحال من التنوع والحيوية. وهى حياة يعيشها أحفاد الأثينيين الذين عاصروا يوريبيدز وأرسطوفان، كما عاصروا المعارك الضارية بين أثينا واسبرطة خلال الحرب البيلوبينيزية الطويلة التى انتهت سنة ٤٠٤ ق. م بهزيمة أثينا وإذلالها. ربما لم يكن الأحفاد أسوأ من أجدادهم، ولكن الصراع والتضحية فى سبيل الحرية أو فى سبيل مجد أثينا كان قد أصبح جزءا من الماضى ولم يبق لهم فرصة للبطولة، ولا بقيت فرصة للتراجيديا (المأساة) إلا بعرض المآسى القديمة على خشبة المسرح. ومن ثم شجع كل شئ على ازدهار الكوميديا الجديدة التى اهتمت بتصوير عواطفهم ومشاكلهم فى البيت والشارع، وحياتهم مع زوجاتهم وعلاقتهم بأصدقائهم وجيرانهم وعبيدهم وعشيقاتهم، وأحلامهم فى الثراء والسلطة وتطلعاتهم وهمومهم وصغائرهم... وهذا على وجه الدقة هو الذى فعله ثاوفراسط وتلميذه ميناندر – كل على طريقته كما سبق القول –، أولهما فى «طباعه» وفى فلسفته الأخلاقية التى ورث الكثير منها بغير شك عن المعلم الأول، والثانى بالأسلوب المتفجر بالحيوية والحوار الشيق الممتع والشخصيات العادية والمتفردة فى آن واحد... ولا شك أيضا أن البحث الطويل منذ سقراط وأفلاطون على الأقل وحتى أرسطو وثاوفراسط – عن ماهية

القيم المختلفة ومعايير السلوك الصحيح والتمييز بين الأنماط المختلفة للعدالة والخير والشر والصواب والخطأ... إلخ فى الكتابات الفلسفية قد انعكست بصورة حية على كوميديات مينائدر، وهو ما يحتاج إلى بحوث مستقلة لتوضيحه بشئ من التفصيل (يكفى أن نذكر هنا قول الشاب كاريزيوس فى مسرحية التحكيم أنه تلميذ درس الأخلاق، أو خواطر أونيزيموس - العبد الذى يعمل فى خدمته - عن نظريته فى الأخلاق(*)...)

وليت هذا وغيره يعلمنا الاهتمام بالأساس الفلسفى الظاهر أو الكامن للأعمال الأدبية التى تستحق هذه التسمية...

(١٣) ويتشكك المترجم الانجليزى أيضا فى أصالة التعريفات التى يبدأ بها مؤلف الطباع وصف سمات كل صاحب طبع يقدمه، ومن رأيه - الذى ينقله عن الأستاذ ج. أوشر فى كتابه عن طباع ثاوفراسط، ١٩٦٠(**) ويناقش فى مقدمته مختلف الاحتمالات عن أصل الكتاب - أن مجهولا قد أضافها من عنده لظنه أن الطباع كتاب فى الأخلاق، ولم يخطر على باله أن أمثال هذه التعريفات ليس

(*) مقدمة الترجمة الانجليزية سابقة الذكر، ص٢٩ - وقد وردت فيها كذلك عبارة تذكرنا بعبارة هاملت المشهورة : إن الضمير يجعلنا جميعا جبناء - وقد وردت العبارة فى إحدى الشذرات القصيرة (تحت رقم ٦٣٢) التى جمعها العلماء من مظان مختلفة ونشرت فى طبعة «لويب» لأعمال مينائدر : عندما يحمل الإنسان فى نفسه سر جريمة، ومهما تكن شجاعته وجسارته، فإن الضمير يجعله شديد الجبن. انظر كذلك الشذرتين رقم ٤٨١ و ٥٢٢...

(**) R.G. Usher; The Characters of Theophrastus, 1960.

لها مكان فى كتاب عن فن الكوميديا (إذا صح الفرض الذى ذكرناه قبل قليل) وأنها لا تضيف شيئاً إلى الأوصاف التى يوردها الكتاب عن كل طبع على حدة.

ولم يقتصر الأمر على دَسِّ هذه التعريفات على الكتاب، فالمقدمة المنحولة التى نقلناها عن الترجمة الانجليزية تجعلنا نتحسر على ضياع نصف الكتاب الذى تطفلت عليه أيادى وأقلام كثيرة من العصر القديم والعصر البيزنطى كما رأينا من قبل. لقد كان الكتاب الأصلى - إذا صدقنا كاتب المقدمة المنحولة - يحتوى بجانب الطباع السيئة على مجموعة مساوية من الطباع الخيرة. وهذا احتمال وارد لا أريد ولا أستطيع أن أنفيه، إذ لا يعقل أن يكون الفيلسوف العاقل الطيب قد اكتفى بعرض الشخصيات الشاذة والطباع السيئة على قارئه العام الذى أراد أن يمتعه ويسليه، وأن يكون قد أغفل أضدادها الذين لا شك فى وجودهم فى كل عصر على الرغم من طغيان الأشرار والمجرمين على الأخيار والطيبين... وهل كان الناس فى زمنه المضطرب المنغَّص بالصراعات الدموية والمجاعات والأوبئة - كما ذكرنا آنفا - ينقصهم المزيد من الهم والنكد فوق ما هم فيه ؟

إن الحسرة على ضياع هذا القسم المفقود من الكتاب لا تقل فى تقديرى عن الحسرة التى لا تنقضى على ضياع الجزء الخاص بالكوميديا من كتاب الشعر لأرسطو. هل تستحق الابتسامة والضحكة والفرحة أن تعلن عليها كل هذه الحروب الشعواء على مر العصور ؟!

(١٤) وأخيرا فقد اعتمدت على الترجمة الألمانية للنص واستعنت بالترجمة الانجليزية التى لم تخل من التصرف، ورجعت بقدر ما وسعتنى الطاقة إلى الأصل اليونانى للتثبت من الفروق بين الترجمتين المذكورتين فى الهوامش السابقة. وقد حاولت أن أقدم للقارئ العربى نصا مقروءاً وممتعا بقدر الإمكان، وزودته بالهوامش والشروح التى استفدت فيها فائدة لا تقدر من شروح المترجم الألمانى وتعليقاته ومن التعقيب الشامل والعميق للأستاذ بيتر شتاينمتز، وكذلك من المقدمة القيمة والمكثفة للمترجم الانجليزى الذى نشر الطباع مع الشذرات الباقية من مسرحيات مينائدر فى كتاب واحد. وأملى أن يستمتع القارئ العربى بهذا النص الفريد ويتعاطف مع شخصياته الحية ويعايش تجاربها وأحزانها وأفراحها ومشكلاتها وجوانب ضعفها وعجزها أو غرورها وطموحها بحيث يبتسم ويتعجب ويتلفت حوله أيضا... ومن يدرى ؟ ربما استطاع الكتاب أن يلهم كاتب الكوميديا عندنا فيقرأ بالإضافة إليه كوميديات مينائدر ويبذل جهده لإبداع كوميديا راقية وصافية وعميقة الإنسانية، بدلا من سيول الفجاجة والبذاءة التى تغرقنا بها المسارح التجارية وأجهزة الإعلام البشع كما أغرق الطوفان قوم نوح...

أشكره سبحانه على توفيقه، وأسأله المغفرة والصفح عن الخطأ والسهو والتقصير، إليه وحده ألجأ، وإليه المصير.

القاهرة. يوليو. ١٩٩٨

عبد الغفار مكاوى

المقدمة المنحولة(★)

عزيزى بوليكليس ،

لقد طالما تعجبت، كلما تفكرت فى هذا الأمر - ولعلى لن أكفَّ أبدا عن التعجب - لماذا لا يكون لنا نحن الإغريق نفس الطبع، مع أننا نعيش فى بلد ذات مناخ واحد ونتلقى جميعا نفس التعليم. لقد عكفت على دراسة الطبيعة البشرية زمنا طويلا، وبلغت الآن من العمر تسعة وتسعين عاما، وفضلا عن ذلك فقد اختلطت بكثير من الناس من جميع الجنسيات، وقارنت مقارنة دقيقة بين الطباع الخيرة والطباع السيئة، ولهذا السبب شعرت أن من واجبى أن أسجل العادات المختلفة للحياة كما يعرضها أصحاب هذين النوعين من الطباع. وسوف أضع أمامك، واحدا بعد الآخر، جميع الأنماط المتنوعة التى ينقسم إليها الرجال، وأبين كيف يدبرون شئونهم. ذلك لأنى أعتقد، يا عزيزى بوليكليس، أن أبناءنا سيكونون رجالا أفضل لأننا تركنا لهم مثل هذه الدروس العينية التى يمكنهم أن يتدارسوها كنماذج، والتى ستعلمهم أن يختاروا صحبة ذوى المبادئ السامية

(★) أنظر الفقرة (١٣) من التمهيد العام لهذا الكتاب...

والتحدث معهم، كما تعلمهم أن لا يهبطوا عن مستواهم. سأرجع الآن إلى موضوعى، وعليك أن تتابع حجتى وتحكم بنفسك إن كنت محقا فى رأيى. سوف أستغنى عن التقديم والتمهيد، وسوف أبدأ بالرياء وبأولئك الذين يجعلون من الرياء هدفهم وغايتهم. وسوف أقدم تعريفا له، ثم أصف المرائى، مبيِّنا نوع شخصيته ونوع الحياة التى تفرضها عليه طبيعته، وفى النهاية سأحاول أن أوضح ظروف الأنماط الأخرى واحدا واحدا، وذلك على نحو ما فعلت فى البداية.

١ - المرائـــى

(١) قد يكون الرياء، بحسب تعريفه، هو تكلف تفسير سلبى للأعمال والأقوال بما يجعلها أسوأ (مما هى عليه)، أما المرائى فهو ذلك الذى

(٢) اعتاد أن يلتقى بأعدائه ويثرثر معهم دون أن يظهر كراهيته لهم. إنه يمتدح وجها لوجه أولئك الناس الذين اغتابهم من وراء ظهورهم، كما يبدى تعاطفه معهم عندما يلم بهم سوء الحظ ويخسرون قضية فى المحكمة. وهو يتسامح مع الذين يتكلمون عنه بالسوء، بجانب تجاوزه عما يقال ضده.

(٣) وهو يتلطف فى كلامه مع أولئك الذين يعانون الظلم ويشعرون بالسخط عليه. وإذا أراد أحد الناس أن يتكلم معه على وجه السرعة، طلب منه أن يرجع إليه مرة أخرى.

(٤) وهو لا يصرح أبدا بشئ عن أى شئ يشغله، وإنما يقول إنه ما يزال يفكر فى الأمر، كما يدعى أنه قد «وصل على الفور» أو «تأخر كثيرا» أو «كان مريضا».

(٥) وهو يجيب من يسألونه قرضا أو معونة بقوله إنه ليس غنيا، واذا باع (شيئا) مما لديه، قال إنه لا يبيع، وإذا لم يكن يبيع شيئا بالفعل، قال إنه يبيع. وإذا سمع شيئا ، ادعى أنه لم

يسمع، وإذا رأى شيئاً، أنكر أنه رأى، وبعد أن يصدق على شئ (أو يقرَّ به) يقول إنه لا يتذكر ذلك. مرة يقول إنه سوف يفكر، ومرة أخرى إنه لا يعلم، وحينا يزعم أن الأمر يدهشه، وحينا آخر أنه سبق له التوصل إلى نفس الفكرة.

(٦) ومن دأبه على العموم أن يستخدم أمثال هذه العبارات : «لا أعتقد هذا» ، «لا أفهم» ، «هذه مفاجأة لى» ، أو «إنك تقول عنه انه تغير»، و«ليست هذه هى القصة التى رواها لى» ، و«لا أظن أن الموضوع كله غير معقول» ، «قل هذا لشخص آخر»، «لا أدرى إن كان علىَّ أن أكذبك أم أن أدينه (وأتهمه بالوقوع فى الخطأ) أو «المهم أن تكون حريصا ولا تتسرع بتصديق ذلك».

٢ - المتملـــق

(١) يفهم من التملق أنه فى حد ذاته تصرف مشين، ولكنه يعود بالنفع على المتملّق، أما المتملق (نفسه) فهو ذلك الشخص الذى

(٢) يصحب إنسانا (أثناء سيره) ويقول : «هل تلاحظ كيف يتطلع الناس إليك ؟ إن هذا لا يحدث لأحد غيرك فى المدينة. لقد أثنوا عليك بالأمس فى القاعة»، إذ تجمع هناك أكثر من ثلاثين شخصا، وتطرق الحديث بينهم إلى السؤال عن أفضل المواطنين، فأجمع الكل منذ البداية «عليه» «وعلى اسمه».

(٣) ومع استطراده فى هذا الكلام يلتقط خيطا (لمحه) على ثوب (الآخر)، أو ينتزع قشة ألقتها الريح فى شعره بينما يقول ضاحكا : «لأنى لم أرك لمدة يومين امتلأت ذقنك بالشعر الأبيض، ومع ذلك فمازلت بالرغم من سنك تفوق أى شخص آخر فى الاحتفاظ بالشعر الأسود.

(٤) وعندما يقول «هو» شيئا، فإنه يأمر الآخرين بأن يسكتوا، ويقرظه ويثنى عليه عندما (يلاحظ) «أنه» يسمعه، ويعقب بقوله «هذا صحيح» عندما ينهى كلامه، ويضحك على مزحة باردة (أو هزيلة) يطلقها ويحشر طرف ثوبه فى فمه وكأنه لا يستطيع أن يمسك نفسه من الضحك.

(٥) ويطلب من المارة أن ينتظروا حتى يعبر «هو» الطريق.

(٦) ويشترى التفاح والكمثرى للأطفال ويأخذها معه ويهديها لهم عندما يرى «هو» ذلك، ثم يقبلهم قائلا: «أبوكم رائع يا صغار».

(٧) وحين يصحبه لشراء أحذية يقول إن «قدمه» أبدع من الحذاء.

(٨) وإذا ذهب «هو» لزيارة بعض أصدقائه سبقه إليهم وقال (للواحد منهم) : «أنه قادم لزيارتك. «ثم يستدير إليه قائلا : «لقد بلغتك!».

(٩) ومن عادته بطبيعة الحال أن يذهب إلى سوق النساء – ليتسوق من هناك – وهو لاهث الأنفاس.

(١٠) وعندما يحضر مأدبة غداء (أو عشاء) يكون أول من يثنى على النبيذ ويظل يردد باستمرار : «مألذ طعامك!» ثم يقول وهو يلتقط شيئاً من المائدة: «ما أطيب هذا!» كذلك يسأله (أى يسأل صديقه أو سيده) إن كان يشعر بالبرد وهل يحب أن يضع عليه شيئا ويلفه بغطاء. وفى أثناء ذلك ينحنى عليه ويهمس بشئ فى أذنه، كما يحرص على التطلع «إليه» أثناء انشغاله بالكلام مع ضيوفه.

(١١) وفى المسرح يأخذ المساند من الخادم ويرتبها بنفسه (على المقعد الذى سيجلس عليه)

(١٢) ويقول إن «بيته» مبنى بناء جميلا، و«حقله» منسق الزرع، وصورته ناطقة بالحياة (وطبق الأصل).

٣ - كثـير الكـــلام

(١) كثـرة الكلام هى (اللا مـعـان فى) سـرد أقـوال (وأحـاديث) مطولة وخالية من التدبر، أما كثير الكلام فهو ذلك الذى.

(٢) يقـترب من شـخص لا يعـرفه ويبدأ (الحديث مـعه) بإنشـاد قصيدة مدح فى زوجته الخاصة. ثم يروى قصة الحلم الذى رآه فى الليلة السابقة، ويستطرد فى وصف تفصيلى للطعام الذى تناوله (فى العشاء).

(٣) وبعد ذلك يلاحظ وهو يسارع بالتدريج من إيقا ع (كلامه)، أن الناس اليوم أسوأ بكثير مما كان عليه القدماء، وأن سعر القمح رخيص جدا فى السوق، وأن عدد الأجانب قد ازداد فى المدينة (أى فى أثينا)، وأن البحر منذ انتهاء الأعياد الديونيزية أصبح صالحا لإبحار (السفن)، وأنه لو تلطف زيوس بإرسال المزيد من المطر لتحسَّن الحصاد (وتحسنت أحوال الفلاحين). ويضيف أنه سوف يزرع حقلا فى العام المقبل، وأن الحياة أصبحت صعبة، وأن «دامييوس» قد أوقد أضخم شعلة فى احتفالات الأسرار، وأن عدد الأعمدة فى «الأوديون» يبلغ كذا وكذا عمودا، و«كنت أمس مريضا جدا وتقيأت»، وأى يوم من أيام الشهر هو هذا اليوم ؟» (ويواصل

كلامه قائلا) إن (موعد) احتفالات الأسرار يحين فى شهر سبتمبر، و«الأباتوريات» فى أكتوبر، وأعياد ديونيزيوس الريفية فى ديسمبر. وإذا صبر عليه أحد، فلن يتوقف أبدا (ولن يتركه ينصرف لحاله!).

٤ - الريفـــى

(١) يمكن النظر إلى السلوك الريفى بوصفه نوعا من الجهل غير المهذب، أما الريفى فهو ذلك الذى.

(٢) يشرب «الكيكيون» ثم يذهب إلى المجلس (الشعبى).

(٣) ويؤكد أن رائحة «المر» ليست أزكى من رائحة الصعتر.

(٤) ويلبس أحذية أوسع بكثير من قدميه.

(٥) وإذا تكلم راح يجأر حوله بصوت عال.

(٦) ويسئ الظن بأصدقائه وأقاربه، ولكنه يطلع الخدم على أهم أخباره، ويقص على الأجراء الذين يعملون فى حقله كل ما جرى فى المجلس الشعبى.

(٧) ويجلس هناك مشمِّرا ثوبه حتى الركبة، بحيث يعرض عريه على الناظرين.

(٨) وهو فى العادة يتابع سيره فى الطريق دون توقف، إذ لا يثير دهشته (أو اهتمامه) شئ، حتى إذا رأى ثورا أو حمارا أو كبشا، توقف فى مكانه وأخذ ينظر إليه.

(٩) ومن عادته (أيضاً) أن يأخذ شيئا من غرفة الطعام فيقضمه (أو يبتلعه) على الفور ثم يتجرع قدرا وفيرا من النبيذ القوى.

(١٠) وهو يلاحق الخبازة خفية، ثم يساعدها فى طحن الحبوب للبيت كله ولنفسه أيضا.

(١١) ويلقى العلف للبهائم أثناء تناول فطوره.

(١٢) ويفتح بنفسه الباب، وينادى على كلبه ويمسكه من خطمه وهو يقول : هذا هو حارس الحوش والبيت.

(١٣) وإذا ردَّ إليه أحد الناس (مبلغا من) المال رفض أن يأخذه منه بحجة أنه (رث) وماسح وطلب تغييره على الفور.

(١٤) وإذا أعار أحدا محراثا أو سلة أو منجلا أو جوالا طالب (باستردادها) فى نفس الليلة، وذلك إذا خطر له ذلك فى لحظة أرق.

(١٥) وإذا نزل إلى المدينة سأل أى إنسان يقابله عن سعر اللحم والسمك المدخن، واستفسر منه عن الاحتفال بالبدر الجديد وهل سيحل موعده اليوم، ثم يضيف على الفور أنه ينوى أن يحلق شعره، وأن يدخل الحمام ويغنى فيه، وأن يمسمر كعب صندله ويمر فى طريقه على أرخياس ويطلب منه سمكا مملحا.

٥ - المجامـــل

(١) يمكن تعريف (التلهف على) المجـاملة بأنه شكل من أشكال التعامل الذى يقصد به جلب السرور، وإن كان لا يترك انطباعا حسنا (عن صاحبه)، أما (المتلهف) على المجاملة فهو ذلك.

(٢) الذى يحيِّى إنسانا من بعيد، يدعوه «أفضل الناس»، ويعبر عن إعـجـابه الشـديد به. أنه يمسكه بكلتـا يديه ولا يريد أن يتركه (ليمضـى فى حاله)، وبعد أن يصحبه على الطريق قليلا يسـأله متى سيراه فى المرة القادمة، ثم يبتعد وهو يردد عليه (عبارات الثناء) والمجاملة.

(٣) وإذا دعى للتـحكيم (فى احـدى القـضـايا)، فـإنه لا يكتـفى بإرضـاء الطرف الذى يقف فى صـفه، وإنما يحـرص أيضـاً (على أرضاء) خصمه حتى يبدو فى موقف الحياد.

(٤) (وإذا ثار خـلاف بين الأجـانب والأثينيين) قـال إن الأجـانب أعدل حكما من مواطنيه.

(٥) وإذا دعى لمأدبة طعام طلب من مضيفه أن يستدعى أطفاله، فإذا دخلوا قال إنهم يشبهون أباهم أكثر مما تشبه التينة تينة أخرى، ثم يجذب بعضهم إليه ويقبلهم ويجلسهم بجواره ويلعب معهم لعبـة «الخرطوم والبلطة»، أما البعض الآخر فيتركهم

ينامون على بطنه، مما يضايقه بطبيعة الحال ويشعره بأنهم يضغطون عليه.

(٦) وهو يبالغ فى التردد على الحلاّق، ويحرص على بياض أسنانه، ويبدل ثوبه ليظهر دائما فى مظهر نظيف، ويضمخ (جسده) بأنواع الدهان المختلفة.

(٧) وفى السوق يتردد على موائد الصرافين ويختلف على الملاعب الرياضية حيث يتدرب الصبية، أما فى المسرح فانه يتخذ مجلسه – حين يكون هناك عرض مسرحى – إلى جوار القادة (العسكريين).

(٨) وهو لا يشترى لنفسه شيئا، وإنما يشترى الزيتون لأصدقائه فى بيزنطه، والكلاب الأسبرطية لأصحابه فى كيزيكوس، والعسل «الهيميتى» لخلانه فى رودوس، ثم يدور فى المدينة ويحكى هذا (لكل إنسان).

(٩) وهو يحب بطبيعة الحال أن يحتفظ بقرد، (كما يحلو له) أن يحصل على طائر نادر، وحمام صقلى، وقطع زهر من عظام الغزلان، وزجاجات دهان صغيرة من «تورى»، وعصى ملوية من أسبرطة، وبساط بزخارف فارسية، ومساحة صغيرة مفروشة بالرمل للتدريب على الرقص، وملعب لكرة اليد.

(١٠) وهو يعيرها جميعا بالتناوب للفلاسفة، والسفسطائيين، والمدربين على المبارزة، والموسيقيين ليعرضوا عليها ألعابهم، أما هو فيحضر متأخرا لكى يقول أحد النظارة الذين تجمعوا لمشاهدتها : «هذا هو صاحب الملعب».

٦ - الأحمـــق

(١) الحمق هو الإصرار على الأقوال والأفعال المشينة، أما الأحمق فهو ذلك الذى

(٢) يسارع بحلف الأيمان، ويعرف عنه سوء السمعة، ويسب الكبار ويغتابهم، وهو بطبعه صائح فى السوق، واستعراضى (مجرد من كل مبدأ)، وعلى استعداد لاقتراف أى فعل.

(٣) ومن عاداته كذلك أن يرقص - وهو فى حالة وعى وبغير قناع - رقصة الكورداكس مع احدى الجوقات الكوميدية (المترنحة من السكر).

(٤) وفى العروض (التى تقام على منعطفات الشوارع) تجده (يدور هنا وهنا) ليجمع قطع النقود النحاسية من كل فرد على حدة، ويتعارك مع أولئك الذين يبرزون تذكرة دخول ويريدون أن يتفرجوا على العرض بغير أن يدفعوا شيئا.

(٥) وهو لا يتورع أيضا عن القيام بدور المضيف (صاحب النزل) ودور القواد، ومحصل الضرائب، ولا يرفض أى مهنة سيئة السمعة، بل لا يجد حرجا فى تأجير نفسه كمناد وطباخ، والانغماس فى لعب القمار.

(٦) وحرمان أمه من الرعاية (وتركها للجوع)، وتعريض نفسه

للقبض عليه فى جريمة سرقة والإقامة فى السجن زمنا أطول من إقامته فى بيته.

(٧) أضف إلى هذا أنه يبدو واحد من أولئك الذين يحشدون الجماهير حولهم ويقومون بإثارتهم وتحريضهم برفع أصواتهم الخشنة المنكرة بالسباب والجدال - وينضم إليه بعض الناس وينصرف بعضهم عنه قبل أن يستمعوا إلى نهاية كلامه، ويلتقط منه بعضهم بداية (كلامه المطول المضطرب)، ويحصل بعضهم الآخر على مقطع واحد، والبعض الثالث على شذرة ناقصة (من الموضوع الذى يتحدث عنه)، وهو لا يختار هذا النوع من الاستعراض الذى يكشف عن فساد عقله إلا فى الوقت الذى يتجمع فيه سكان المدينة للاحتفال بمناسبة معينة.

(٨) ولكن لديه القدرة على الظهور فى المحاكم إما كمتهم وإما كمدّعٍ أو منكرٍ لمعرفة أى شئ وهو يقسم اليمين على ذلك، أو على الظهور ببساطة وهو يحمل معه ملفا من الوثائق التى يخفيها فى طيات ثوبه أو مجموعة من المذكرات التى يحملها بين يديه.

(٩) وهو لا يتحرج من أن يقود عددا كبيرا من الصائحين فى السوق وأن يقرضهم على الفور ويتقاضى منهم كل يوم عن كل دراخمة فائدة تقدر بثلاث أوبولات ونصف أوبولة، وأن يدور (هنا وهناك) بين دكاكين قَلْى اللحم والسمك والسمك المدخن ويحصل الفوائد ويجمعها فى فمه.

٧ - الثرثـــار

(١) لو أراد أحد أن يعرف الثرثرة، لبدت (فى صورة) الشطط (وعدم الانضباط) فى الكلام، أما الثرثار فهو

(٢) ذلك الذى يبادر بمخاطبة كل من يصادفه، وعندما يرد هذا عليه (أو يبدى أى ملاحظة)، يقول له أن كلامه خطأ ولا قيمة له، وأنه يعلم كل شئ، وإذا أصغى إليه فسوف يعرف (الحقيقة). فإذا اعترض ذلك الرجل بشئ قاطعه قائلاً : «ألم تخبرنى بهذا بالفعل ؟ لا تنس ما تريد أن تقوله أو «أحسنت إذ ذكرتنى!». أو «ما أفيد هذا الحديث!» أو «لقد فاتنى أن أذكر». أو «لقد فهمت المسألة على الفور» أو «لقد انتظرت طويلا لأرى إن كنت ستتفق معى فى الرأى» إلى غير ذلك من التعبيرات المشابهة التى يسوقها بحيث لا يملك محدثه أن يلتقط أنفاسه.

(٣) فإذا فرغ من تجريد ضحاياه واحدا بعد الآخر من أسلحتهم، لم يوقفه شئ عن المضى أيضا إلى الناس فى تجمعاتهم (المختلفة) فيضطرهم وهم فى غمرة الانشغال بأعمالهم أن يلوذوا منه بالفرار.

(٤) بل أنه ليذهب إلى المدارس وإلى الملاعب الرياضية فيعوق

الأولاد عن التعلم، إذ لا تنتهى ثرثرته مع المدربين والمعلمين.

(٥) وإذا قال له أحد الناس إنه مضطر للانصراف فإنه يصحبه (على الطريق) ويوصله إلى بيته.

(٦) وإذا سمع شيئا عما يجرى فى المجلس الشعبى فإنه ينشر الخبر ويضيف إليه قصة المعركة الخطابية (التى دارت) أثناء رئاسة أرسطو فون (وقصة انتصار أسبرطة على عهد ليزاندر)، والخطب التى ألقاها هو نفسه ذات مرة وحظيت بالتصفيق من الشعب، وفى خلال ذلك ينثر بعض الاتهامات (والملاحظات المهينة) عن الجماهير، مما يجعل المستمعين ينسون (الموضوع الذى يتكلم عنه) أو يجعلهم ينامون أو ينصرفون أثناء كلامه (ويختفون).

(٧) وإذا جلس (فى المحكمة) مع المحلّفين ، عطل (زملاءه) عن التوصل إلى الحكم، وإذا تفرج على عرض (فى المسرح) منع (غيره) من متابعة العرض، وإذا دعى لمأدبة حال بينك وبين تناول الطعام، ذلك أنه يقول إن من الصعب على الثرثار أن يصمت، لأن اللسان يتحرك من تلقاء نفسه، ومن العسير عليه أن يسكت حتى ولو اعتبر الناس أنه يفوق فى ثرثرته (عشا) من العصافير.

(٨) بل إنه ليترك أطفاله يتهكمون عليه، وذلك عندما يشعرون أنهم يريدون أن يناموا ويقولون له : «بابا! نرجوك أن تثرثر قليلا حتى يجئ النوم...».

٨ - مـــروج الإشـــاعـــات

(١) إن اختلاق الإشاعات نوع من التأليف بين روايات وأفعال كاذبة يراد من ورائها أن يصدقها الناس، أما مختلق (أو مروج) الإشاعات فهو الذى

(٢) إذا التقى بصديق تخلى على الفور عن تحفظه وابتسم (فى وجهه) قائلا : «من أين جئت؟ ما قولك (عن هذا) ؟ ما رأيك ؟ هل يمكنك أن تقدم أخبارا جديدة (عن هذا الموضوع) ؟ حقا، هذه أخبار جميلة!»

(٣) ودون أن ينتظر رده يقول : «ماذا تقول ؟ ألم تسمع شيئا ؟ أعتقد أننى أستطيع أن أقدم لك أنباء جديدة».

(٤) (ثم يزعم) أن جنديا أو عبدا لعازف الناى «آستايوس» أو المقاول «ليكون» قد حضر مباشرة من (ميدان) المعركة، وأنه قد سمع منهم كل هذه (الأخبار). والواقع أن مصادره (من النوع الذى) لا يمكن أن يوثق به.

(٥) وهو يقرر (اعتمادا على هذه المصادر) أن «بوليبير خون» والملك قد كسبا معركة، وأن «كاساندروس» قد أسر.

(٦) وإذا سئل : «أتصدق أنت نفسك هذا؟ «رد» عليه بقوله إن الخبر قد أعلم فى المدينة كلها، وإن الحكاية تدور (وتنتشر فى

كل مكان)، وإن الجميع متفقون (على هذه التقارير)، لأنهم يروون الخبر نفسه عن المعركة، وقد (تمخض هذا) عن طبخ حساء جميل.

(٧) ومما يؤكد (صدق الخبر) فى رأيه أنه استنتجه من (النظر فى) وجوه المسئولين التى يلاحظ عليها التغير الكامل. ثم يقول أيضا إنه سمع (من يقول) فى السرِّ إنهم يخفون شخصا فى بيتهم، وأن هذا الشخص قد وصل من مقدونيا قبل خمسة أيام ويعرف كل شئ معرفة دقيقة.

(٨) وهو يذكر جميع التفصيلات ويظل يشكو (ويستدر الدموع من المستمعين إليه) حتى يصدقوه وهو يقول : «ياكاساندروس المسكين! كم أصابك الحظ الفاجع (وعجل بنهايتك)! هل اكتشفت الآن ما يدبره القدر ؟ وما جدوى عظمتك (وقوتك) التى كنت (تتمتع بها) ذات يوم ؟».

(٩) ثم يضيف قائلا : « أنت الوحيد الذى يجوز له أن يعلم هذا! «لكنه (يقول هذا) بعد أن يكون قد أشاع الخبر فى كل مكان بالمدينة..

٩ - الوقـــح

(١) يمكن تعريف الوقاحة بأنها عدم الاكتراث بالسمعة الطيبة فى سبيل (الحصول على) كسْب حقير، أما الوقح فهو ذلك الذى

(٢) يسعى للاقتراض من شخص سبق له (أى للوقح) أن غشه نصب عليه، وعندئذ... (هنا فجوة تقطع النص).

(٣) وبعد أن يقدم القرابين للآلهة، يذهب لتناول الطعام مع شخص آخر، أما لحم الأضحية فيقوم بتمليحه وتخزينه. وأثناء جلوسه إلى مأدبة مضيفة، يستدعى عبده ويعطيه من اللحم والخبز الموضوع على المائدة ويهتف (بصوت مرتفع) ليسمعه الجميع : «بالهناء والشفاء ياتيبايوس!».

(٤) وعندما يذهب لشراء اللحم يذكر الجزار بالمعروف الذى سبق أن أسداه إليه، ويقف بجانب الميزان محاولا أن يلقى فيه بقطعة من اللحم أو على الأقل بعظمة للحساء، فإذا نجح فى ذلك كان بها، أما إذا فشل فإنه يخطف من المائدة (شيئا من) المصارين وينصرف لحاله وهو يضحك.

(٥) وعندما يكون لديه ضيوف (من مدينة أخرى) يشترى (من مالهم) تذاكر لدخول المسرح، وبهذا يشاهد العرض معهم دون أن يدفع نصيبه، وفى اليوم التالى يحضر معه أولاده

بالإضافة إلى المعلم (الذى يقوم على تربيتهم)

(٦) وإذا وجد شخصا يحمل شيئا اشتراه بثمن مناسب، طلب منه أن يعطيه نصيبه منه.

(٧) وهو يطرق باب أحد الجيران ويقترض منه الشعير مرة، والقش مرة أخرى، ثم يلزم الشخص الذى أقرضه إياها أن يستردها بعد ذلك بنفسه.

(٨) ومن عادته أيضاً أن يتوجه إلى (المكان الذى توضع فيه) القدور النحاسية فى الحمامات (العامة) فيملأ منها إبريقا (إلى حافته) ويصبه (على رأسه) بينما يصرخ صاحب الحمام ويحتج، ثم يقول إنه قد أخذ حمامه، ويضيف أثناء انصرافه : «أتسب وتلعن؟! لن تأخذ بقشيشا!».

١٠ - النتـــــن

(١) النتانة هى الشحُّ المفرط فى كل شئ يتعلق بما يملكه المرء أو يقتنيه، أما النتن فهو ذلك الذى

(٢) (يطالبك) فى منتصف الشهر بنصف «أوبول» (ويصل به الأمر) إلى أن يأتى إلى بيتك خصيصا لهذا الغرض.

(٣) وعندما يجلس فى مأدبة مشتركة (تجده) يحصى عدد الكئوس التى شربها كل شخص كما يقلُّ ما يسكبه «لأرتميس» عما يقدمه لها جميع الضيوف (الحاضرين).

(٤) وإذا اشترى له أحد شيئا بسعر بخس (من السوق) وقدّم له الحساب، أكد له أن السعر غال جدا (وأنه قد كلفه أخر بنس معه).

(٥) وإذا كسر أحد العبيد وعاء قديما جدا أو طبقاً، خصم ثمنه من راتبه (أو من حصته من الطعام).

(٦) ولو حدث أن أضاعت زوجته قطع نقدية (من ذوات القرش أو البنسات الثلاثة)، لقلب الأثاث رأساً على عقب وأخذ يفتش الكتب وصناديق الملابس ويرفع البسط (عن الأرض) ليفحص (ما تحتها).

(٧) وإذا باع لأحد شيئا بالغ فى سعره إلى الحد الذى يضر بالمشترى.

(٨) وهو لا يسمح لأحد بأن يأكل التين من بستانه، أو يتمشى فى حقله، أو يلتقط الزيتون أو البلح الذى يسقط على الأرض.

(٩) وهو يفحص أحجار الحدود كل يوم ليتأكد من أنها لا تزال فى نفس أماكنها.

(١٠) ومن عادته أن يحصل الفوائد على التأخير (فى الدفع) وأن يطالب بالفائدة (المركبة) على الفوائد.

(١١) وإذا (جاء عليه الدور) واستضاف بعض رفاقه، قطع اللحم قطعا صغيرة قبل تقديمه لهم.

(١٢) وإذا ذهب إلى السوق ليشترى لحما، رجع إلى بيته خالى اليدين.

(١٣) كما أنه يحظر على زوجته أن تقرض الملح، أو فتيلة المصباح، أو الأعشاب، أو البرغل، أو الأوراق (والزهور التى تصنع منها الأكاليل)، أو العجين الذى يعد منه كعك القرابين، قائلا لها : إن هذه التوافه، كما تعلمين، تكلف الشئ الكثير على مدار السنة».

١١ - الفـــــظ

(١) ليس من الصعب تعريف الفظاظة، فهى نوع من الاستهتار المنفّر واللافت للنظر، أما الفظ فهو الذى

(٢) يرفع ثوبه فى الطريق العام أمام النساء المحترمات ويعرض عريه عليهن.

(٣) ويصفق (بكلتا يديه) فى المسرح عندما يكون الآخرون قد توقفوا عن التصفيق، كما يطلق الصفير على الممثلين الذين يحب بقية النظارة أن يشاهدوهم. وعندما يخيّم الصمت على المسرح ينهض واقفا ويتكرع (بصوت مرتفع) لكى يستدير (جمهور) النظارة نحوه (ويلتفتوا إليه).

(٤) وحين يكون السوق مزدحما (بالناس)، يتجه إلى الدكاكين التى يباع فيها الجوز والتوت والفواكه ويقف بجوارها وهو يقضم منها فى الوقت الذى يثرثر فيه مع البائع، ثم ينادى على أحد الحاضرين باسمه على الرغم من أنه لا يعرفه.

(٥) وإذا رأى شخصا مسرعا فى سيره، أوقفه (فى الطريق).

(٦) وإذا وجد شخصا يغادر المحكمة بعد أن خسر قضية مهمة، اتجه نحوه وهنأه.

(٧) وهو يخرج (من بيته) لكى يتسوق لنفسه ويؤجر عازفة على

الناى، ثم يعرض ما اشتراه على الذين يقابلونه ويدعوهم للحضور معه ومشاركته فيه.

(٨) ويدخل دكان حلاق أو محلا لبَيْع العطور ويعلن أنه يريد أن يسكر.

١٢ - عديم الذوق

(١) إن عدم ملاءمة الوقت المناسب خاصية مزعجة (تجعل صاحبها) يختار اللحظة الخاطئة، أما عديم الذوق (فى اختيار هذا الوقت) فهو ذلك الذى

(٢) يذهب إلى إنسان لا وقت لديه لكى يستشيره (فى أمر معين ويسأله النصيحة).

(٣) وهو يغازل حبيبته عندما تكون مصابة بالحمى.

(٤) ويتوجه إلى شخص حكم عليه بدفع غرامة لأنه خسر قضية كفالة (لشخص آخر)، ويطلب منه أن يضمنه.

(٥) وإذا توجب عليه أن يدلى بشهادة حضر إلى المحكمة بعد صدور الحكم (فى القضية).

(٦) وإذا دعى إلى حفلة عرس، راح يوجه الاتهامات (المهينة) لجنس النساء.

(٧) وعندما يرى شخصا رجع إلى بيته بعد رحلة طويلة، يدعوه للتنزه معه.

(٨) ومن عادته أن يحضر شاريا يقدم سعرا أعلى بعد أن يكون البائع قد فرغ من البيع.

(٩) وأن ينهض واقفا ويشرح الموضوع من البداية بعد أن يكون الناس قد استمعوا إليه وفهموه فهما تاما.

(١٠) وأن يهتم اهتماما شديدا بتقديم خدمة لإنسان لا يريدها ولكنه يخجل من التصريح بذلك.

(١١) ويذهب إلى جماعة تحتفل بتقديم قربان وتنفق عليه (من

مالها) لكى يطالب بالفوائد (التى يتصور) أنه يستحقها.

(١٢) وعندما يجلد أحد العبيد يتقدم منه ويحكى له كيف كان له عبد شنق نفسه ذات يوم بعد أن تمّ جلده بهذه الطريقة.

(١٣) وإذا شارك فى مجلس للتحكيم (كواحد من المحلَّفين) جعل يثير الخصمين ضد بعضهما فى الوقت الذى يكونان فيه على استعداد للتصالح.

(١٤) وإذا أراد أن يرقص جذب شخصا لم يسكر بعد لكى يراقصه.

١٣ - المفرط فى حماسه

(١) من الطبيعى أن يبدو الإفراط فى الحماس كنوع من الغلوّ - الصادر عن حسن النية - فى القول والفعل، أما المفرط فى الحماس فهو الذى (٢) ينهض واقفا ويعد بما لايستطيع أن يفى به.

(٣) وإذا تم الإجماع على عدالة أمر ما فإنه يثير الاعتراضات (التى تقابل) بالدحض والتفنيد.

(٤) (ويصر على أن) يأمر عبده بأن يمزج من الخمر أكثر بكثير مما يستطيع الضيوف أن يشربوه.

(٥) ويفصل بين أناس يتعاركون، ولو كان لايعرفهم.

(٦) ويقدم لك نفسه ليدلكّ على طريق مختصر، ولكنه لايستطيع أن يهتدى إليه.

(٧) ويتوجه إلى القائد (العسكرى) ويسأله متى ينوى أن يأمر قواته بالزحف وما هى كلمة السرّ (التى سيحددها) بعد غد.

(٨) ويذهب إلى أبيه ويقول إن أمه ما تزال نائمة فى حجرة نومها.

(٩) وعندما يحظر الطبيب إعطاء خمر للمريض، يقول إنه سيجرب أن يشفيه عن طريق الشرب.

(١٠) وإذا ماتت امرأة دونّ على شاهد قبرها اسم زوجها، وأبيها، وأمها، واسمها هى نفسها ومحل ميلادها، ثم أضاف إلى ذلك أو هؤلاء جميعا كانوا أناسا محترمين.

(١١) وإذا تعيّن عليه أن يحلف يمينا، قال للواقفين حوله : لقد طالما حلفت الأيمان (مرات لا حصر لها).

١٤ - البليد

(١) إذا أردنا أن نعرّف البلادة (قلنا إنها) هى الخمول سواء فى الكلمات أو فى الأفعال أما البليد فهو ذلك الذى:

(٢) يحسب (بعض الأرقام) بواسطة الأحجار ويستخلص الناتج ثم يسأل جاره قائلا : ما هو الحاصل (فى رأيك)؟

(٣) وعندما تقام عليه الدعوى فى احدى القضايا ويكون فى نيته أن يحضر (الجلسة التى ستنظر فيها)، فإنه ينسى ذلك ويذهب إلى الريف (لقضاء يوم فيه).

(٤) وإذا ذهب إلي المسرح (للفرجة) بقى وحده (فى الصف الخلفى) مستغرقا فى النوم.

(٥) وإذا تعشى عشاء ثقيلا واستيقظ بالليل من نومه لكى يذهب إلى المرحاض، فأنه يتوه (عن الطريق) ويعضه كلب الجيران.

(٦) وإذا حصل على شىء ووضعه جانبا (بحرص شديد)، فأنه يظل يبحث عنه (بعد ذلك) دون أن يتمكن من العثور عليه.

(٧) وإذا أبلغه إنسان بأن أحد أصدقائه قد مات وأن عليه أن يذهب (لحضور الجنازة) فإنه يقول له والحزن الشديد على وجهه والدموع فى عينيه: «تهنئتى القلبية».

(٨) وإذا استرد «مالا من مدين، أصر» على وجود شهود على ذلك.

(٩) وفى (عزّ) الشتاء يتشاجر مع عبده لأنه لم يشتر خيارا من السوق.

(١٠) ويجبر أولاده على أن يتصارعوا مع بعضهم وينطلقوا فى

الجرى إلى حدٍّ الإعياء.

(١١) وعندما يكون فى الريف ويريد أن يطبخ البسلة بنفسه، فإنه يضع الملح مرتين فى الوعاء ويجعل الوجبة ممجوجة الطعم.

(١٢) وعندما يأذن زيوس بنزول المطر يقول : ما أبدع النجوم الساطعة!، فإذا كانت تلمع (فى السماء) كان من رأيه، بصرف النظر عن آراء الآخرين، أن الليل أسود من القطران.

(١٣) وعندما يسأله أحد : كم عدد الجثث التى تعتقد أنها حملت عبر البوابة المقدسة؟ فإنه يرد عليه قائلا: «هو عدد كبير بالقدر الذى أتمناه لك ولنفسى».

١٥ - المتعالى

(١) التعالى سلوك فظ يتبدَّى فى الكلمات، أما المتعالى فهو
(٢) الذى يجيب من يسأله «أين هذا أو ذاك؟ «بقوله» دعنى فى حالى (ولاتضايقنى!).
(٣) وإذا خاطبه أحد، لم يرد عليه.
(٤) وإذا كان لديه شيء يباع لم يخبر (المشترين) بالسعر الذى سيتنازل به عنه، وإنما سألهم قائلا: «ما الذى سأحصل أنا عليه ؟».
(٥) وإذا جامله أحد وأرسل إليه الهدايا بمناسبة احتفال يقوم به، قال إنه مستغن عن هداياهم.
(٦) وإذا اتفق عن غير قصد أن لوث أحد (ملابسه) أو دفعه أو داس على قدمه، لم يسامحه أبدا.
(٧) وإذا طلب منه صديق أن يساهم فى تقديم هبة بادر بقوله إنه لن يقدم شيئا، ولكنه يسلمها بعد ذلك وهو يقول : وهذا مبلغ آخر من المال يضيع على»!
(٨) وإذا تعثرت قدمه فى الشارع عمد إلى صب لعنته على الحجر.
(٩) وهولايطيق أن ينتظر (أحدا) لمدة طويلة.
(١٠) ولا يميل إلى الغناء ولا الإلقاء ولا الرقص.
(١١) ولعله كذلك لايصلى للآلهة.

١٦ - المؤمن بالخرافات

(١) يبدو أن الإيمان بالخرافات هو (نوع من) الجبن فى مواجهة ما يعلو على الطبيعة، أما المؤمن بالخرافات فهو ذلك

(٢) الذى يغسل يديه بعد أن يصادف جنازة (على الطريق) ويرش نفسه بالماء المقدس (من المعبد)، ويضع من ورقة من أوراق الغار فى فمه ويظل يتجول (على هذه الحال) طوال النهار.

(٣) وإذا مرقت أمامه عرسة لايتقدم خطوة واحدة فى سيره حتى يعبر أحد المارة من نفس الموضع أو حتى يرمى ثلاثة أحجار على الطريق.

(٤) وإذا رأى ثعبانا فى بيته استغاث بسابا زيوس (أى زيوس) لوكان ثعبانا غير مؤذ، أما إذا كان ثعبانا (ساما) ومقدسا، فإنه يقيم على الفور هيكلا للبطل هرقل (فى نفس الموضع).

(٥) وإذا مرّ على الأحجار الملساء عند مفرق طرق، صَبَّ عليها الزيت من زجاجة صغيرة (يحملها معه) : وركع على ركبتيه وقبَّل الحجر ثم غادر المكان.

(٦) وعندما يقرض فأر جوالاً مملوءاً بالدقيق يذهب إلى مفسِّر العلامات ويسأله عما ينبغى عليه أن يفعله، فإذا أجابه هذا بأن عليه أن يرقع الجوال (الجلدى) عند السرَّاج، لم يهتم بهذه النصيحة بل رجع إلى بيته وقدم أضحية (للتكفير عن ذنوبه).

(٧) وهو يحب أن يكثر من تنظيف بيته بينما يزعم أن سحرا قد

وقع بتأثير هيكاتيه.

(٨) وإذا سمع البوم تنعب (بصوت عال) أثناء سيره فإنه لا يواصل طريقه قبل أن يقول هذه الكلمات: إن أثينا أعظم.

(٩) وهو ليس على استعداد للاقتراب من قبر ولا من جثة ولا من امرأة فى حالة وضع، وإنما يقول إن الشىء المهم بالنسبة له هو ألا يلوث نفسه.

(١٠) وفى اليوم الرابع والسابع من كل شهر (أى فى الأيام التى توافق الرابع والسابع والرابع عشر والسابع عشر من الشهر) يكلف أهل بيته بأن يغلوا النبيذ، ويمضى بنفسه ليشترى (أوراق) الآس والنجور وكعك الأضاحى، ثم يرجع إلى بيته ويقضى بقية اليوم منشغلا بوضع الأكاليل على (صور وتماثيل) الهيرمافروديت.

(١١) وإذا رأى حلما، انطلق مرة أخرى إلى مفسّرى الأحلام، والعرافين، وراصدى الطير لكى يسألهم عن الإله أو الآلهة التى ينبغى عليه أن يقدم لها الصلاة.

(١١أ) وعندما يريد أن يتلقى بركات التكريس، يذهب كل شهر إلى كهنة أورفيوس مع زوجته، فإذا لم يكن لديها الوقت الكافى أخذ معه المربية والأطفال.

(١٢) كذلك يبدو أنه واحد من أولئك الذين يحرصون كل الحرص على أن يرشوا أنفسهم بماء البحر المالح.

(١٣) وإذا حدث أن وقع بصره على أحد المكللين بالثوم (فى القرابين التى تقدم لهيكاته على مفارق الطرق) سارع بالرجوع إلى بيته، واستحم من رأسه إلى قدمه، واستدعى

كاهنة وطلب منها أن تطهره (وهى تدور حوله) ببصلة البحر أو بجرو صغير.

(١٤) أما إذا رأى رجلا مختلّ العقل أو مصابا بالصرع فإن الفزع يتملكه ويبصق فى طيات ثوبه.

١٧ - المتذمر

(١) التذمر هو السخط غير اللائق على العطايا التى وُهِبَها المرء، أما المتذمر فهو ذلك الذى

(٢) يقول (للعبد) الذى (جاء) يحمل له نصيبه الذى أرسله إليه أحد أصدقائه من مأدبة أقامها: (أبلغه إنه) قد ضنّ علىّ بملعقة حساء وقطرة خمر، كما استكثر على «أن يدعونى للطعام».

(٣) وبينما تعانقه حبيبته وتقبله يقول لها: «ليتنى أعرف إن كنت تحبيننى أيضا من صميم قلبك (كما يبدو عليك).

(٤) وهو ساخط على زيوس، لا لأنه أرسل المطر، بل لأنه تأخر فى أرساله.

(٥) وإذا عثر فى الشارع على محفظة قال: «فى الحقيقة لم يسبق لى أبدا أن وجدت كنزا».

(٦) وعندما يشترى عبدا بثمن بخس بعد فصال طويل مع البائع يتعجب قائلا: «ليتى أعرف إن كان هذا الذى اشتريته بسعر رخيص شيئا يستحق الحصول عليه».

(٧) وعندما يأتيه من يبلغه الخبر المفرح: «لقد رزقت ابنا» يرد عليه بقوله: لو أضفت لهذا: «ونصف ثروتى قد ضاع، لقلت الحقيقة».

(٨) وإذا كسب قضية (دعوى قضائية) بإجماع الأصوات عاب على المحامى (الذى قام بكتابة الدعوى وإلقائها) أنه أغفل عددا كبيرا من الحجج القوية.

(٩) وعندما يشترك أصدقاؤه فى إقراضه (مبلغا من المال) ويقول له أحدهم : «يمكنك الآن أن تفرح» فإنه يقول له: ماذا ؟ . ألأن علىَّ أن أردّ المال لكل منكم على حدة، ثم يكون علىّ فوق ذلك أن أقدم لكم الشكر، وكأنكم صنعتم فىّ معروفا؟!

١٨ - سيّىء الظن

(١) الواقع أن سوء الظن هو الاشتباه فى انعدام الصدق (والإخلاص) لدى الجميع، أما سيّىء الظن فهو ذلك

(٢) الذى يرسل عبدا لشراء مواد التموين، ثم يرسل وراءه عبدا أخر تكون مهمته هى أن يعرف كم دفع ثمنا لها.

(٣) وهو يحمل بنفسه ماله معه، (وكلما ستار) بضع مئات من الأمتار جلس (على الأرض) وأخذ يحصى ما معه.

(٤) ويسأل زوجته، بعد أن يكون قد رقد بالفعل فى فراشه، إن كانت قد أغلقت الخزانة، وإن كان الخوان (الذى تحفظ فيه الأكواب) قد أحكم قفله، وباب الحوش أوصد بالمزلاج، فإذا ردّت بالإيجاب، نهض مع ذلك من فراشه عاريا وحافى القدمين، وأخذ يتجول، والمصباح فى يده، هنا وهناك لكى يتأكد من كل شىء، وبهذه الطريقة لا يكاد يعود للنوم (إلا بصعوبة).

(٥) وهو يحصل الفوائد من المدينين له فى حضور الشهود، وذلك (لكى يطمئن) إلى أنهم لن يستطيعوا إنكار ذلك.

(٦) وإذا أراد أن يرسل ثوبه للتنظيف،لم يرسله لذلك الذى سينظفة على أفضل وجه، بل إلى ذلك الذى يضمنه شخص موثوق به.

(٧) وإذا جاءه أحد يستعير منه (عددا من) أكواب الشرب (الفضية)، فإنه يفضل أن يرفض ذلك، فإن كان أحد أقاربه أو معارفه المقربين، لم يعره الأكواب إلا بعد أن يختبرها

ويزنها (على سبيل الاحتياط) أو حتى بعد أن يجد شخصا موثوقا به ليعطيها له على ضمانته.

(٨) وهو لايسمح للعبد الذى يرافقه بأن يمشى خلفه، وإنما يأمره بأن يسير أمامه (لكى يراقبه) ويمنع هروبه منه.

(٩) وإذا اشترى أحد شيئا منه وقال له : كم المبلغ؟ سجله (على حسابى)، فليس لدىّ وقت الآن! «فإنه يريد عليه بقوله: لاتتعب نفسك بإرساله إلىّ، فسوف أصحبك إلى أن تجد الوقت!».

١٩ - المقـــزّز

(١) إن (خاصية إثارة) التقزز هى إهمال الجسد بصورة تبعث على عدم الارتياح، أما المقزز فهو ذلك الذى

(٢) يمشى (فى الشارع) وعليه (مظاهر) الطفح الجلدى والجرب وأظافره طويلة ويدعي أن هذه الأمراض ولدت معه، وأن أباه وجده كانا مصابين بها، وليس من السهل أن يُدَسَّ أحد على عائلتهم.

(٣) ومن الطبيعى (بالنسبة لأمثاله) أن يكون مصابا بالقروح فى قصبتى الساقين، والدمامل فى أصابع قدميه، وألا (يفعل شيئا) لعلاجها وإنما يتركها تستشرى بشكل فظيع. والشعر الكثيف ينمو تحت إبطيه وحتى فخذيه بحيث يبدو كالحيوان المتوحش، كما أن أسنانه سوداء ومتآكلة إلى الحد الذى يجعله غير مريح ولا يطاق.

(٤) وفضلا عن ذلك فإنه يتمخط فى أصابع يديه أثناء تناول الطعام، كما يهرش (جلده) إبان (الاحتفال) بتقديم القرابين، (ويبصق) وتسيل من فمه السيول عندما يتكلم، ويتجشأ (ويتكرع) عندما يشرب.

(٥) وهو ينام مع زوجته تحت أغطية قذرة.

(٦) ويستعمل فى الحمام الزيت الزنخ، لكى يرفع من نبضه.

(٧) ويذهب إلى السوق وهو يرتدى قميصا تحتيا سميكا ومعطفا شفافا (مهلهلا) ومملوءا بالبقع.

(٨) وإذا رجعت أمه من زيارة الراصد للطير أخذ يسب ويلعن.

(٩) وعندما (ينشغل الناس) بالصلاة وسكب السكائب (أثناء تقديم القربان)، فإنه يقذف بكوبه بعيدا وينفجر ضاحكا وكأنه قد قام بشيء عجيب (ومذهل).

(١٠) وهو وحده من بين الحاضرين يصفق بيديه أثناء العزف على الناى، ويوقع بإصابعه (أو يدندن فى مصاحبة العزف) ثم يوبخ عازفة الناى وهو يسألها لماذا توقفت (عن العزف) بهذه السرعة.

(١١) وإذا أراد أن يبصق، فإنه يقذف بصقته عبر المائدة فى وجه النادل (أى العبد الذى يصب الخمر للضيوف).

٢٠ - الجِلْف

(١) إن الجلافة - بحسب تعريفها - سلوك يسبب الضيق دون أن يحدث ضررا مباشرا، أما الجلف فهو ذلك الشخص الذى

(٢) يدخل (إنسان) ويوقظه من نومه بعد أن بدأ ينعس لكى يثرثر معه (على راحته).

(٣) وإذا وجد شخصا يستعد للسفر عطله عنه.

(٤) وإذا زاره أحد طلب منه أن ينتظره حتى يقوم بنزهته (اليومية).

(٥) ويأخذ طفله من يد المربية ويلوك طعامه (أو يفتته فى فمه) ويناوله له بنفسه، كما يظل يدلله وهو يتمطق ويسميه «عفريت بابا الصغير».

(٦) ويحكى أثناء الطعام كيف تناول شراب «الحربق» الذى طهره من أعلى إلى أسفل، وكيف كانت الصفراء فى إفرازه أشد سوادا من الصوصة على المائدة.

(٧) ويسأل أمه أمام الأهل والأقارب: «أخبرينى يا ماما، كيف كان حالك فى ذلك اليوم الذى جاءك فيه المخاض وولدتنى!»

(٨) ويقول عن نفسه إنه إنسان لطيف وغير لطيف، ولكن من الصعب العثور على شخص لايجمع بين الصفتين.

(٩) وأن لديه (فى بيته) الماء البارد فى الخزان، والخضروات الطازجة الناعمة فى البستان، ولديه طباخ بارع فى إعداد الطعام، وأن بيته (أشبه) بالنزل، إذ يزدحم دائما

(بالضيوف) ، وأن أصحابه أشبه بوعاء بغير قاع، فرغم أنه ودود ومجامل، إلا إنه لايستطيع أن يشبعهم.

(١٠) وعندما يقيم مأدبة لضيوفه. فإنه يجذب انتباههم للمتطفل (الذى يتملقه ويشرح لهم فضائله). كما يحثهم على الشراب ويقول إن كل شىء قد أعد «لإمتاع الضيوف ، وإذا شاءوا ذهب العبد على الفور لإحضار الفتاة من المبغى» لكى تعزف لنا جميعا على الناى وتهيِّىء لنا الفرح والسرور».

٢١ - الطموح (أو المغرور)

(١) (من المألوف) أن يبدو الطموح (فى صورة) تطلع (غير كريم) إلى الشرف وغير لائق بالإنسان الحرّ، أما صاحب الطموح (الدنىء) فهو ذلك الشخص

(٢) الذى يحرص أشد الحرص، إذا دعى إلى مأدبة طعام، أن يجلس أثناء الأكل بجوار المضيف (نفسه).

(٣) ويأخذ ابنه معه إلى دلفى لكى يحلق شعره.

(٤) مع الحرص على أن يكون فى صحبته أحد العبيد السود.

(٥) وإذا تعيّن عليه أن يدفع ما قيمته «مينة» فضية واحدة، فإنه يأمر (عبده) بأن تكون من النقود الجديدة.

(٦) ولما كان بالطبع يحتفظ فى بيته بطائر(من نوع الغراب) فإنه يكون على استعداد لأن يشترى له سلما صغيرا ويصنع له لوحا برونزيا دقيقا يمكنه(أى أنثى الغراب) من التسلق على السلم الصغير.

(٧) وعندما يضحى بثور فإنه يقوم بتثبيت جلدة الرأس مع القرنين (بالمسامير) داخل بيته وفى مواجهة الباب (الخارجى) مع إحاطتها بأكاليل ضخمة (من أوراق الغار)، وذلك لكى يرى كل من يدخل من الباب أنه قد ضحىّ بثور.

(٨) وبعد الاشتراك فى موكب الاحتفال مع الفرسان، يأمر عبده بأن يحمل بقية الأدوات (ويرجع بها) إلى البيت، أما هو فيتمشى فى السوق (محتفظا) بالمهاميز (فى قدميه وحريصا على) طرح معطفه باستمرار حول كتفيه.

(٩) وعندما يموت كلب الصيد الملطى الصغير (الذى كان يملكه) يقيم له قبرا ولوحا تذكاريا ينقش عليه (هذه الكلمات): «كلادوس من مالطة».

(١٠) وإذا قدم فى الاحتفال بعيد «أسكليبوس» خاتما برونزيا صغيرا، فإنه يلبسه (فى إصبعه) ويصقله ويدهنه بالزيت كل يوم.

(١١) وهى يحصل بالطبع من زملائه الرؤساء على تفويض منهم بإبلاغ الشعب (بأخبار) الأضحية (أو القربان)، فيتقدم وهو يختال بمعطف ناصع الوميض وأكاليل (حول جبينه) ويقول: «يا رجال أثينا! لقد قدمنا نحن البيرات (أى رؤساء المدينة) الأضحية لأم الآلهة، وهى أضحية قيمة ومشرفة (ومصحوبة بفأل طيب)، أما أنتم فتلقوا عطاياها (وبركاتها)».

وبعد أن يعلن هذا (للشعب) يمضى إلى بيته ويحكى لزوجته (بالتفصيل) كيف كان يومه يوما رائعا ولا نظير له.

٢٢ - الوضيع

(١) الوضاعة هى إنعدام الرغبة فى الشرف حيثما تعلّق الأمر بالانفاق، أما الوضيع فهو الشخص الذى

(٢) يكرس لزيوس لوحة خشبية ينقش عليها اسمه وحده، وذلك بعد أن يحرز نصرا كرئيس للجوقة فى إحدى التراجيديات.

(٣) وإذا دار الحديث (فى المجلس الشعبى) حوّل التطوع بالتبرع للصالح العام (أو للخزانة العامة) نهض واقفا وتسلل خارجا فى هدوء.

(٤) وإذا زوج ابنته، باع لحم الأضاحى كله باستثناء الحصص (المخصصة) للكهنة، ولم يستأجر للخدمة فى (حفلة) العرس إلا أولئك الخدم أو العبيد الذين يتعهدون بإطعام أنفسهم بأنفسهم.

(٥) وإذا تولى قيادة سفينة حربية فرش أغطية الشخص الممسك بالدفة على ظهر السفينة لينام عليها، أما الأغطية الخاصة به فيضعها جانبا.

(٦) وفى الأيام التى يحتفل فيها بعيد ربات الفنون يمنع أولاده من الذهاب إلى المدرسة حتى لايضطروا للمساهمة (بمبلغ من المال) ويزعم أنهم مرضى.

(٧) وهو يحمل بنفسه اللحم والخضروات التى اشتراها من السوق ويضعها فى طيات ثوبه أثناء رجوعه إلى بيته.

(٨) ويلازم بيته عندما يسلم ثوبه للمغسلة.

(٩) وعندما يرى صديقا يجمع التبرعات وقد سبق له أن أبلغه

بذلك – فإنه ينحرف عن الطريق عندما يراه قادما ويرجع إلى بيته من طريق جانبى.

(١٠) ولا يشترى خادمة لزوجته التى أحضرت معها جهاز العرس (البائنة) عندما تزوجته، وإنما يستأجر لها أمةً من سوق النساء لكى ترافقها عند خروجها من البيت.

(١١) ويلبس بصفة مستمرة حذاء مرقعا ويقول إنه صلب صلابة القرون.

(١٢) وعندما يستيقظ من نومه يكنس البيت (ويرتبه) وينفض الحشرات من الفرش.

(١٣) وإذا جلس شمَّر ثوبه البالى الذى لايلبس شيئا غيره.

٢٣ - الفشّـــار

(١) من الواضح أن الفَشْر يبدو كنوع من التموية (أو الادعاء) بوجود مزايا (لايملكها المرء)، أما الفَشَّار فهو ذلك الشخص.

(٢) الذى يقف على رصيف الميناء، ويحكى للأجانب عن المبالغ المالية الضخمة (التى يستثمرها فى البحر. وهو يصف بدقة شديدة حجم الفوائد التى يحصلها(من التجارة البحرية) وكم كسب وكم خسر (بالتفصيل). وبينما يملأ فمه بهذا الكلام، يرسل خادمه (أو عبده) إلى المصرف، حيث يبلغ حسابه «دراخمة» واحدة.

(٣) وهو يستطيع أن يضحك على ذقن شخص يصحبه (فى سيره) على الطريق، إذ يروى له كيف شارك فى حروب الاسكندر (الأكبر)، وكيف وقف معه، (كما يحكى له) عن عدد الأكواب المزينة بالأحجار الكريمة التى جلبها معه عند عودته إلى بلده. ثم يؤكد أن الصناع الحرفيين فى آسيا أفضل من الصناع فى أوربا، مع العلم بأنه لم يغادر مدينته أبدا.

(٤) ويدعى أنه تلقى ثلاثة خطابات من «أنتيباتروس» يدعوه فيها للحضور إلى مقدونيا، ومع أنه قد حصل منهم على إعفاء من الضرائب الجمركية (التى تحصل) على تصدير الخشب، فقد رفض (استيراده) حتى لايشهر به أحد، «وعلى المقدونيين أن يكونوا أحكم من هذا».

(٥) ويزعم أنه أنفق أثناء المجاعة مايزيد على خمسة «تالنات» (تبرع بها على شكل هبات) للمواطنين الفقراء، إذ لم يكن من الممكن أن يقول لا.

(٦) وعندما يطلب من أحدهم أن يحسب بنفسه (قيمة) النقود التى يحصيها بعناية من ذوات الآحاد والالآف (أى من الميات والدراخمات) وبعد أن يختلق اسما محترما أمام كل هبة (أوتبرع) قدمه، يصل بإحصائه إلى عشرة تالنتات. ثم يؤكد أن هذا هو المبلغ الذى تصدق به لمساندة (المواطنين)، وأنه لم يحسب معه المبالغ التى تبرع بها (على نفقته الخاصة) لتجهيز السفن الحربية أو للصالح العام.

(٧) وإذا ذهب إلى سوق الخيول تظاهر أمام التجار بأنه يريد أن يشترى خيولا جيدة (أو أصيلة).

(٨) وفى دكاكين تجار الأقمشة (تجده) يبحث عن ملابس بما يبلغ قيمته «تالنتين»، ثم يعنفّ عبده لأنه جاء فى صحبته دون أن يحضر معه شيئا من عملاته الذهبية.

(٩) وعلى الرغم من أنه يسكن فى بيت بالإيجار، إلا أنه يزعم لشخص لايعلم (هذه الحقيقة)أنه قد ورثه عن أبيه، وأنه ينوى أن يبيعه لأنه أضيق من أن يتسع لضيوفه..

٢٤ - المتعجـرف

(١) العـجـرفـة هـى التـقليل من شـأن سـائر النـاس فـيمـا عـدا المتعجرف ذاته، أما المتعجرف فهو الشخص الذى

(٢) يقول لمن يريد أن يتكلم معه على عجل أنه يستطيع أن يقابله بعد تناول الغداء أثناء قيامه بنزهته.

(٣) وإذا صنع فى أحد معروفا، قال له إنه ينبغى عليه ألا ينسى ذلك.

(٤) وإذا طلب منه عابر سبيل أن يفصل فى خلاف أصدر الحكم فى التو واللحظة.

(٥) وإذا انتخب لمنصب عام فإنه يرفضه ويقسم إنه لا وقت لديه.

(٦) وهو لايبادر أبدا بزيارة أى إنسان.

(٧) ويفرض دائما على المتعهدين والمستأجرين أن يحضروا إليه فى صبيحة اليوم التالى.

(٨) وفى الشـارع لايكلم أى إنسـان يقـابله، بل يمشى مـحنيـا (ومطرق الرأس) أو مشدود القامة (ومرفوع الرأس) إذا راق له ذلك.

(٩) وإذا دعا أصدقاءه (لضيافته) فإنه لا يأكل معهم، وإنما يكلف أحد الخدم (العاملين عنده) بالقيام على خدمتهم.

(١٠) وإذا ذهب لزيارة أحد أرسل من يسبقه ليبلغه أنه قادم إليه.

(١١) وهـو لايسـمح لأحـد بأن يدخل عليـه أثناء التطيب أو الاستحمام أو تناول الطعام.

(١٢) وإذا قام بمحاسبة أحد كلف عبده بأن يرتب قطع الحجارة

ويستخرج جملة المبلغ ويسجل (قيمة الدين) فى حسابه.

(١٣) وإذا أرسل فى طلب «طلبيات» (معينة) فإنه لايقول «سأكون شاكرا لوتفضلت..» بل يقول «أريد أن يتم هذا» و «لقد أرسلت إليك لتحضرها» و «هكذا يجب أن تنفذ تعليماتى بدقة» «وبأقصى سرعة ممكنة».

٢٥ - الجبـــان

(١) الواقع أن الجبن يبدو (على هيئة) تخاذل للنفس مبعثه الخوف، أما الجبان فهو الشخص الذى يؤكد

(٢) عندما يكون فى رحلة بحرية، أن الصخور (التى بدأت تتراءى للعين) هى سفن قراصنة، وإذا ارتفع الموج ارتفاعا طفيفا سأل إن كان هناك أحد على ظهر السفينة لم يُكرَّس فى عبادة الأسرار، ثم يتجه إلى (الشخص) الممسك بالدفة ليعرف منه إن كان يتابع الاتجاه الصحيح، وماهى فى رأيه حالة الطقس، ويقول لجاره إن (سبب) الخوف الذى يشعر به يرجع للحلم الذى رآه، ثم يخلع سترته ويناولها لعبده ويتوسل المساعدة على الوصول للشاطىء.

(٣) وفى أثناء الحرب، عندما يبدأ المشاة فى الزحف، ينادى على جميع المواطنين (من بلده) ويطلب منهم أن يلتفوا حوله وأن يقوموا باستطلاع (المنطقة المحيطة بهم) ويقول إن من الصعب تحديد الأعداء (أو تمييزهم).

(٤) وإذا سمع ضجة ورأى البعض يسقطون (قتلى)، قال للمحيطين به إنه نسى (أن يحضر) سيفه بسبب اللهفة (والسرعة)، ثم يجرى إلى خيمته ويأمر عبده بأن يخرج ويرصد مواقع الأعداء، وفى هذه الأثناء يخفى سيفه تحت المخدة ويضيع وقتا طويلا فى بحثه المزعوم عنه.

(٥) عندما يرى من (مكانه فى) الخيمة أنهم يحضرون أحد الجرحى من أصدقائه، فإنه يسرع بالذهاب إليه ويشجعه

ويساعد فى حمله. ثم يقوم برعايته، ويغسل جرحه وينظفه، ويجلس إلى جواره ويهش الذباب عنه، ويفعل كل شىء (ممكن) فيما عدا (الاشتراك) فى الحرب ضد الأعداء. وحين يطلق نافخ البوق إشارة (الهجوم)، يبقى ملازما لخيمته وهو يقول: «داهية تأخذك! إن صوته المدوى لايترك الإنسان ينام (لحظة)!

(٦) ثم يقابل الرجال العائدين من المعركة وهو مخضب بدم الجريح، ويحكى لهم عن الخطرالعظيم الذى تعرض له: «لقد أنقذت أحد الأصدقاء.» ويأخذ رفاقه من نفس القبيلة (أو العشيرة) إلى داخل الخيمة (لكى يروا) الجريح ويصف لكل واحد منهم على حدة كيف أحضر الرجل بنفسه وحمله بيديه إلى الخيمة..

٢٦ - الأوليجاركى (أو المتسلط)

(١) يمكن أن توصف الأوليجاركية بأنها هى الولع بالسلطة والنزوع الشديد للقوة والكسب. أما الأوليجاركى فهو الشخص الذى

(٢) ينضم للمجلس الشعبى أثناء التشاور حول الرجال الذين سيتم انتخابهم لمساعدة (الأرخون) فى تنظيم موكب الاحتفال (بالأعياد الديونيزية)، ويوضح (للجميع) أن هؤلاء (الرجال المنتخبين) ينبغى إعطاؤهم سلطة مطلقة، وإذا اقترح البعض عشرة (مساعدين) قال لهم: «واحد يكفى، ولكن يجب أن يكون رجلا!» (ويلقى على أسماعهم) بيتا واحدا من أشعار هوميروس:

«لايأتى خير من حكم الكثرة، فليكن الحكم لشخص واحد»

وهو البيت الوحيد الذى لايزال يحفظه.

(٣) (ومما يدل على شخصيته) أن يلقى أمثال هذه الخطب الأوليجاركية: ينبغى علينا أن نتضامن ونتشاور معا (فى هذه الأمور) بعيدا عن الرعاع وعن السوق، ولايصح بعد اليوم أن نجرى وراء الوظائف المهمة (أو الموظفين المهمين) أو نسمح لهم بأن يحطوا من شأننا أو يجاملونا (ويثنوا علينا)، (كما يقول أيضا فى مثل هذه الخطب: «إما هم وإما نحن فى هذه المدينة»!

(٤) وعند الظهيرة يخرج من بيته، بثوبه (أو معطفه) الملفوف

(حول جسده) وشعره المشذب (نصف المقصوص)، وأظافره المقلمة بعناية، ويظل يتبختر فى سيره (فى شارع الأوديون) وهو يقول:

(٥) لم يعد أحد يستطيع الحياة فى هذه المدينة (أى أثينا) بسبب الوشاة (أو المبتزين للأموال)! كما يقول: «إن (المحلَّفين) الفاسدين يسيئون معاملتنا فى المحاكم «و إننى لأعجب مما يريده هؤلاء الذين يقحمون أنفسهم فى السياسة!» و«إن التبرع وتوزيع الهبات توزيعا عادلا (عمل) لا يقابل إلا بالجحود»، و إنه «يخجل أثناء حضوره اجتماع المجلس الشعبى عندما يجلس بجانب واحد من أولئك الجائعين القذرين» (٦) ويقول «متى يتوقف (نزف دمائنا) أو تخريب بيوتنا بسبب التبرعات والهبات الخاصة وتكاليف تجهيز السفن (التى تطلب منا)؟ «و «هؤلاء الرعاع الغوغائيون – كم أمقتهم !» ثم يذكر اسم ثيسيوس مؤكدا إنه هو أول من جلب المصائب على المدينة، إذ حشد سكان اثنتى عشرة مدينة فى واحدة كما ألغى نظام الحكم الملكى. ثم يؤكد أنه لقى العقاب الذى يستحقه، لأنه كان أول ضحية لهم (أى للديموقراطيين) ويضيف الكثير من هذه المزاعم التى (يلقيها على أسماع) الأجانب والأثينيين المتفقين معه فى المزاج أو على زملائه فى الحزب.

٢٧ - المتعلم على كبر

(١) يبدو أن التعلم على كبر هو نوع من العشق للمهام الشاقة بصورة لاتتناسب مع السن، أما المتعلم على كبر.

(٢) فهو الذى يحفظ، فى الستين من عمره، أبياتا(من الشعر) عن ظهر قلب، ولكنه يتعثر عندما يحاول إلقاءها فى مأدبة (عامة).

(٣) ويتعلم من ابنه «إلى اليمين در» وإلى الشمال در، وإلى الخلف در.

(٤) وفى (الاحتفال) بأعياد الأبطال يساهم بمبلغ يتيح له أن يشترك مع الشبان فى سباق المشاعل.

(٥) وعندما يدعى فى مكان ما إلى أحد أعياد هرقل، فمن الطبيعى أن يخلع معطفه ليشارك فى رفع الثور إلى أعلى للتمكن من لىّ رقبته.

(٦) ويمضى إلى مدارس المصارعة حيث يقوم ببعض التدريبات.

(٧) ويجلس فى أكشاك العجائب (أو المنوعات) للتفرج على ثلاثة عروض أو أربعة ويحفظ الأغانى عن ظهر قلب.

(٨) وأثناء التدريب على الدخول (فى أسرار) طقوس سابازيوس، تجده يحرص حرصا شديدا على أن يبدو أمام الكاهن فى أجمل صورة ممكنة.

(٩) وإذا أحب فتاة واندفع ليفتح بابها عنوة بعتلة (يحملها فى يده) ضربه منافسه (فى حبها) ضربا مبرحا وشده إلى المحكمة.

(١٠) وعندما يذهب إلى الريف يركب (على ظهر) حصان مستعار، ويحاول أن يقوم ببعض الألعاب (التى تدل على البراعة والفروسية) فيسقط على الأرض وتشج رأسه.

(١١) وفى نادى العشرة ينظم احتفالات (لتكريم) المساندين للنادى (أو الاتحاد)

(١٢) ويلعب مع خادمه (أو عبده) لعبة «الأعمدة الكبيرة».

(١٣) ويتنافس مع مربى أطفاله فى رمى السهم والرمح، وينصحه فى نفس الوقت بأن يتعلم منه، وكأن ذلك المربى لايفهم شيئا.

(١٤) وعندما يقوم فى الحمام بتنظيم عرض للمصارعة، فإنه يهز عجيزته (بشدة) ليوحى بأنه متمكن (من فنه).

(١٥) وحين يقام حفل نسائى راقص فى مكان قريب، فإنه يجرب إحدى الرقصات بينما يدندن لنفسه (بلحن ما).

٢٨ - النمّـــام

(١) النميمة ميل فى النفس (للتفوه) بالكلام السيىء، أما النمام فهو الذى يرد على السؤال (التالى) : «من هو هذا أو ذاك؟» على طريقة النسَّابين فيقول :

(٢) «سـأبدأ أولا بالكلام عن أصله. لقـد كـان أبوه فى الأصل يسمى سوسياس، وعندما دخل الجيش أطلق عليه اسم سوسيستراتوس، وبعد التسجيل فى قائمة المواطنين وفى الديمة التابع لها، سمى سويديموس، بَيْدَ أن أمه نبيلة ثراقية، فهذه السيدة تحمل على الأقل اسم كرينوكوراكا، ويقال إن المرأة التى يطلق عليها هذا الاسم تكون فى بلادها من أصل نبيل. أما الرجل نفسه، كما هى العادة فى مثل هذا النسب، فهو رجل خائب، وإنسان سيىء الخلق.

(٣) وهو بطبعه السيىء يقول لأحد الناس: «إننى أعرف هذا معرفة كافية، ولن يمكنك أن تؤثر على رأيى فيه.» ثم يمضى فى ذكر التفاصيل قائلا: «إن النساء من هذا النوع يسحبن الرجال من الطريق عند مرورهم أمام الباب» و «فى هذا البيت تجدهن دائما رافعات أفخاذهن! ليست هذه نكته كما يقال، ولكنهن يمارسن هذا كما تمارسه الكلاب فى الشارع» و «انهن، باختصار، فخاخ (منصوبة) للرجال » و «يجلسن (بالقرب من باب البيت لكى يلبين الطلبات».

(٤) وإذا وجد أناسا يغتابون غيرهم، انضم إليهم بطبيعة الحال قائلا: ولكننى أكره هذ. الإنسان أكثر من أى إنسان آخر.

إن منظره نفسه يجعله شخصا منفرا، كما أن حقارته لانظير لها. والدليل على هذا أن زوجته التى أحضرت له مع جهاز العرس عددا من «التالنتات»، لا تأخذ منه منذ أو ولدت له ابنا «سوى ثلاث» دراخمات (لنفقات)الطعام، كما أنه يفرض عليها أن تستحم بالماء البارد يوم الاحتفال بعيد بوزيدون (الذى يجلّ عادة فى عزّ الشتاء!)

(٥) وعندما يكون جالسا مع غيره، فمن عادته أن يتكلم عن شخص غادر المجلس لتوه، وإذا شرع فى كلامه عنه لم يستطع أن يتوقف، ولا أن يمسك (لسانه) حتى عن اغتياب أقاربه.

(٦) وهو فى الغالب ينمّ على أقاربه هو نفسه وأصدقائه، بل ينمّ على الأموات أيضا، أما النميمة فيسميها «الكلام الصريح»، والديموقراطية، والحرية، ويرى أنها أعظم متعة فى الحياة.

٢٩ - الفاسد

(١) «الفساد» هو النزوع إلى الشر، أما «المفسد» فهو الذى

(٢) يتعامل مع أناس خسروا قضاياهم (فى المحاكم) أو ثبتت إدانتهم (فى جرائم معينة)، ويتصور أنه سيصبح بذلك أكثر خبرة وهيبة.

(٣) ويقول أمام (جمع) من الطيبين أنه لا يوجد إنسان يولد طيبا بالفطرة، وأن جميع الناس فى هذا متساوون، أما القول بأن فلانا طيب، فإنه يعتبر أن (هذه الطيبة) عيب يؤخذ عليه (أو أن القول بهذا شىء مضحك).

(٤) وهو يصف الفاسد (أو المجرم) بأنه إنسان حرّ ومستقل، وذلك إذا اختبرناه (ونظرنا إليه نظرة منصفة)، كما يعترف بأن الكثير مما يقال عنه، يمكن بوجه عام أن يكون حقيقياً، ولكن لابد له أن يعارض بعض ما يقال عنه، ففى رأيه أنه بطبيعته طيب (أو موهوب)، وأنه صديق وفىّ وذكى. ثم يقف فى صفه مؤكدا أنه لم يعرف إنسانا يفوقه (كفاءة) واستقامة.

(٤أ) وهو يساند المتهم الذى يتكلم (أو يدافع عن نفسه) فى المجلس الشعبى، أو الذى يقف (فى قضية) أمام المحكمة، ومن عادته أن يقول للقضاة (أو المحلفين) أنه ينبغى عليهم ألا يحكموا على الرجل بل على القضية، كما يقول (عن المتهم) إنه هو الكلب الوفىّ للعشب، لأنه يضع عينه على الأشرار (والمجرمين). ثم يقول: لن نجد أحدا يحرص على

الصالح العام لو استبعدنا أمثال هذا الرجل (أو لم نقدرهم حق قدرهم).

(٥) ومن عادته بطبيعة الحال أن يؤازر الأشخاص المنحطين (الفاسدين) وأن يظهر أمام القضاء كمحام فى قضايا مشبوهة، وإذا تولى هو نفسه مهمة القاضى، فإنه يأخذ عبارات الأطراف المتنازعة على أسوأ معنى.

٣٠ - البخيل

(١) البخل هو السعى وراء الكسب المشين، والبخيل هو الذى

(٢) لايضع الخبز الكافى أما ضيوفه

(٣) ويقترض (مالا) من الغريب الذى يأوى إلى بيته (للمبيت عنده).

(٤) وعندما يقوم بتوزيع حصص الطعام (فى وليمة أو حفل غداء أو عشاء) فإنه يقول إن من العدل أن يأخذ الموزع حصة مضاعفة، ثم يتولى بالفعل أخذ حصته بنفسه.

(٥) وإذا باع نبيذا (أو خمرا) ، فإنه لايتورع عن بيعه مغشوشا (بالماء) حتى لصديقه.

(٦) ولا يأخذ أبناءه معه إلى المسرح إلا إذا سمح القائمون على النظام بالدخول المجانى.

(٧) وإذا سافر فى مهمة رسمية، ترك المبالغ التى صرفتها له الجماعة (أو الدولة) فى بيته وأخذ يقترض من زملائه، وحمّل خادمه فوق ما يتسطيع حمله، وأعطاه أقل حصة من الطعام (الذى يوزع) على بقية أفراد المجموعة، وطالب بنصيبه من الهدايا (التى يقدمها المضيفون) وقام ببيعها.

(٨) وفى الحمام يدهن (جسده ويمسح عليه) ويقول لخادمه (أو عبده): «الزيت الذى اشتريته زنخ يا ولد!» ويستعمل الزيت الذى يستعيره من شخص آخر.

(٩) وإذا عثر خدمه فى الطريق على (بعض) العملات النحاسية طالبهم بنصيبه منها،لأن اللقية (أى ما يعثر عليه بالصدفة)

ملك عام.

(١٠) ويسلم معطفه (أو عباءته) للتنظيف ويستعير عباءة من أحد معارفه، ويظل يدور بها (وهويجرجرها وراءه) عدة أيام إلى أن يطالبه صاحبها بردها.

(١١) وهو يكيل بمكيال «فيدونى» - قاعه متورم (أو منتفخ) من داخله - حصص الطعام (التى يوزعها)على أهل بيته، فى الوقت الذى يزيح فيه الكثير عن السطح.

(١٢) وهو يدلس عند الشراء من صديق يعتقد أنه يبيع بالحق (والقسطاس)، (ثم يبيع ما اشتراه منه بمجرد الحصول عليه).

(١٣) وحين يكون عليه أن يريد دينا مقداره ثلاثون «مينة» فإنه يدفعه منقوصا بمقدار أربع دراخمات.

(١٤) وعندما يتغيب أولاده شهرا كاملا عن المدرسة بسبب المرض، فإنه يخصم المبلغ (الذى يدفعه فى الشهر) من المصاريف. وخلال شهر فبراير، الذى تكثر فيه أيام الأعياد، لا يرسلهم على الإطلاق لتلقى دروسهم لكى يوفر المصاريف.

(١٥) وإذا أجر عبده (للعمل خارج البيت) وجاءه العبد ليسلمه الفائدة المستحقة له، خصم منه كذلك قيمة تحويل العملة النحاسية، وفعل نفس الشىء بصورة معكوسة مع الكفيل (الذى اشتغل العبد عنده) الذى يقدم له كشف الحساب.

(١٦) وعندما يولم (وليمة) لإخوانه (فى العشيرة أو الجماعة) فإنه يطالب (بدفع قيمة) حصص الطعام التى يقدمها لعبيده من خزينة الجماعة، ويسجل قائمة بعدد أنصاف (حزم) الفجل

المتبقية على المائدة حتى لايستولى عليها الخدم (أو الندل).

(١٧) وإذا سافر (فى رحلة مع بعض معارفه، فإنه يستخدم خدمهم ويؤجر خدمه دون أن يورد الحصيلة لخزينة الجماعة.

(١٨) وإذا أقام فى بيته مأدبة (لإخوانه وزملائه فى الجماعة) أضاف إلى قائمة الحساب كل ما ساهم به من الخشب، والعدس، والخل، والملح، والزيت.

(١٩) وإذا تزوج أحد أصدقائه أو زوج ابنته، (يتعمد) أن يسافر (للخارج) قبل ذلك بوقت كاف، لكى لايضطر لإرسال هدية.

(٢٠) ثم إن الأشياء التى يستعيرها من معارفه هى من ذلك النوع الذى لايطالب أصحابه باسترداده ولا يقبلونها حتى لو ردها إليهم.

هوامش وتعليقات

١- **المرائي** : الكلمتان الأصليتان وهما Eironia و Eiron ولا يقصد بهما المعنى المألوف من الكلمتين المقابلتين لهما فى اللغات الأوربية الحديثة وهو التهكم أو الدعابة والسخرية Irony و Ironie، ولا المعنى «السقراطى» الذى ينطوى على التهكم المعروف المنسوب للفيلسوف مع التواضع والسعى لطلب الحقيقة عن طريق الحوار. فالمراد هنا أقرب إلى معنى التخفى أو التنكر، وربما يكون النفاق أو الكذب، والتكلف والافتعال وعدم الإخلاص أنسب وأقرب إلى التعبير عن الكلمة التى وضعها المؤلف عنوانا لهذه الفقرة وهى كلمة الرياء التى يوحى بها السياق.

(١) – أو هو تكلف الأسوأ والتظاهر به فى القول والفعل.

٢ - **المتملق** : (٢) الكلمة الأصلية تعنى الرواق المسقوف Stoa، والمقصود هنا بالقاعة هو مكان تجمع الناس (٩) يحيط الغموض بتعبير «سوق النساء»، والظاهر أن الأدوات المنزلية كانت تباع فى هذا السوق، وأن العبيد هم الذين كانوا يكلفون بشرائها وحملها إلى بيوت السادة..

٣ - **كثير الكلام**: يلاحظ ابتداء من السطر الثالث من الفقرة الثالثة أن النص غير مؤكد، وأن الناشرين مختلفون فيما بينهم حول ترتيب عباراته. وإن كنت لحسن الحظ لاحظت أن التطابق شبه تام بين الترجمتين الألمانية والإنجليزية.. والمعروف أن ديونيزيوس هو إله الخصب، وقد سمى فى وقت متأخر بإله الخمر (باخوس فى اللاتينية وعند الرومان)

وهو من أصل ثراقى وفريجى، وتروى الأساطير قصص الصراع فى سبيل إدخال عبادته العنيفة وطقوسها الصارخة بالنشوة والوجد إلى بلاد الإغريق وانتشارها حتى الهند، وكانت الأعياد الديونيزية تقام فى الربيع (شهر مارس) احتفالا بديونيزيوس ولاسيما فى منطقة أتيكا، كما أن الأغانى التى كانت تنشد فى طقوس الاحتفال به، وهى المعروفة باسم الديثيرا مبوس، هى التى نشأت عنها الدراما اليونانية.

وعبادات الأسرار - المقصورة على أعضائها «المدشنين» فيها والملزمين بالصمت وعدم إفشاء شعائرها ورموزها الخفية - وجدت منها أنوع كثيرة تقوم كلها على عقائد الخلاص والتكفير والبعث وضمان الخلود. ومن أهم العبادات الإغريقية الصميمة تلك العبادات الايلويزية (نسبة إلى مدينة الويزيس إحدى المدن الأتيكية إلى الشمال الغربى من أثينا) التى كانت تقام طقوسها للربات ديميتر وبرسيفون وكورى، أما الأوديون فهو المسرح المسقوف الذى تقام فيه العروض والاحتفالات الموسيقية، وقد أقام بركليس أقدم أوديون فى عام ٤٤٢ قبل الميلاد على المنحدر الجنوبى الشرقى من الأكروبوليس فى أثينا، واشتهر بزخارف أعمدته البديعة، وأما الأباتوريات أو الفراتريات، أى التجمعات الأخوية، فكانت فى الأصل اتحادات ذات طابع اجتماعى وسياسى وأملاك مشتركة وطقوس دينية خاصة بها وبأعضائها المحددين والمؤلفين من أنساب وأعرق مختلفة، ولكنها فقدت منذ القرن السادس قبل الميلاد أهميتها السياسية ولم يتبق منها سوى الأعياد الدينية.

٤ - **الريفى:** ١ - المقصود هو الريفى الذى تتسم طباعه بالفظاظة والخشونة والسذاجة و«الغشم» ، ويفتقد إلى التهذيب والتحضر والمعرفة.

٢ - هو نوع من الشراب المتخمر، مزيج من النبيذ والعسل والدقيق،

وكان يستخدم أيضا ضد الإمساك..

٣ - هكذا فى الأصل وفى الترجمة الألمانية، أما الترجمة الإنجليزية فتقول إن الريفى يؤكد أن الثوم رائحته زكية مثل رائحة أى نبات عطرى آخر.

(٦) أو يستشير العبيد ويأخذ رأيهم فى أخص أموره ومشاغله العملية، وذلك كما تقول الترجمة الإنجليزية.

(١٠) الكلمة الأصلية تفيد معنى الخبازة والطباخة معا..

(١٣) يلاحظ أن هذا المبلغ المالى عبارة عن قطعة أو قطع من الفضة يمكن أن توصف بأنها ماسحة..

(١٤) أى أنه يتذكر ما أعاره لغيره وهو راقد فى فراشه فيجفو النوم عينيه ويسارع بالمطالبة برده فى منتصف الليل...

٥ - **المجامل** : الكلمة الأصلية Areskeias و Areskos تعنى الحرص والحريص على مجاملة الآخرين إلى حد القلق والتلهف على إظهار الإعجاب الشديد بهم، وذلك على الرغم من أن هذا السلوك لا يكون له وقع حسن على النفوس، وربما يؤدى - على عكس المقصود منه - إلى ترك انطباع سيىء عن صاحبه.

(٥) لا يعرف شىء عن مضمون هذه اللعبة التى يرد ذكرها فى هذا النص وفى نصوص أخرى عديدة. ويلاحظ أن بعض الناشرين يتشككون فى أصالة الفقرات التالية، ابتداء من الفقرة السادسة إلى العاشرة، وذلك بحجة أنها تقطع وحدة النص ولا تدخل بصوره واضحة فى دائرة التعريف الذى وضعه المؤلف للمجامل ، الأمر الذى حدا بالمترجم الإنجليزى إلى اسقاطها تماما من ترجمته متذرعا بأنها يمكن أن تكون منحولة (ص٣٧)، والواقع أن هذا لايبرر الشك فى

وحدة النص المأثور..

(٨ - ٩) من الواضح أن هذه كلها تذكارات ثمينة ونادرة كان «البرجوازيون» الأثينيون يحرصون على اقتنائها..

وكيزيكوس (التى تسمى اليوم بلكيز) هى إحدى المستعمرات الملطية على الساحل الأيونى، وكانت عضوا فى الاتحاد الأتيكى الذى تكون تحت قيادة أثينا، ودارت بالقرب منها معركة بحرية فى سنة ٤١٠ ق. م استطاع فيها الأسطول الأثينى بقيادة ألكيسياديس أن يدمر الأسطول الاسبرطى عن آخره.

أما هيميتوس فهى سلسلة جبال تقع إلى الجنوب الشرقى من أثينا وكانت فى العصر القديم منطقة غابات اشتهرت بالعسل.. وأما «توري» فهى إحدى المستعمرات التى أسسها الإغريق فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد فى جنوب إيطاليا، ثم تحولت فى القرن الثانى ق. م إلى مستعمرة رومانية باسم كوبيا.

والمهم أن بعض البيوت الأثينية كانت تحرص على الاحتفاظ بالقرود ضمن حيواناتها المنزلية، وأن الحمام الصقلى كان مشهورا بجماله، كما كانت قطع الزهر المصنوعة من عظام الغزلان الليبية والزجاجات «التورية» الصغيرة المتميزة بأشكالها البديعة، والعصىّ الأسبرطية أشياء محببة ومرغوبا فيها لاستكمال مظاهر الترف...

٦ - **الأحمق** : الكلمة الأصلية Aponoia تعنى كذلك الجنون واللامعنى وربما دلت كذلك على اليأس أو الطيش...

(٣) الكورداكس Kordax هى إحدى الرقصات المنفردة التى كانت تعرض أحيانا فى الكوميديا القديمة أو خلال بعض المآدب ويلاحظ أن سيد الكوميديا القديمة، وهو أرسطوفان، لم يلجأ إليها ولم يرد أى ذكر

لها فى مسرحياته..

(٨) المقصود أنه يمكن أن يمتنع عن الشهادة بأن يقسم إنه يجهل كل شيء عن القضية أو بأن يعتذر عن الإدلاء بشهادته دون أن يتردد أيضا عن حلف اليمين.

أما عن ملفات الوثائق التى كانت توضع فى مغلف خاص فكانت تحتوى على نتائج التحقيقات الأولية فى القضية المطروحة.

(٩) أى أن الفائدة تعادل ربع قيمة القرض - والملاحظ أن الفم أو الفك كان يوصف بأنه «محفظة الفقراء» وقد ورد هذا الوصف فى بعض الكوميديات القديمة. ولا يختلف وضع النقود فى الفم اختلافا كبيرا عن وضع القلم وراء الأذن كما يفعل فى أيامنا بعض الحرفيين كالنجارين، أو بعض الموظفين والكتبة سهوا أو بحكم العادة...

٧ - **الثرثار:** (٦) الإشارة هنا إلى المعارك الخطابية الحامية التى نشبت بين آيسخينيس (من ٣٨٩ إلى حوالى ٣١٤ ق. م وممثل الحزب المقدونى فى أثينا لصالح الملك فيليب) وديموستنيس السياسى والخطيب الأثينى الأشهر، ولاسيما حول موضوع الاكليل الذى طالب كتيزيفون أن يتوج به رأس ديموستينيس عرفانا وتقديرا لإنجازاته السياسية وكفاحه فى سبيل حرية أثينا واستقلالها، وقد ألقى أيسخينوس بهذه المناسبة خطبة جعل عنوانها «ضد كتيزيفون» ولكن خصمه العظيم (ديموستينيس) رد عليه وهزمه شر هزيمة مما اضطره فى سنة ٣٣٠ ق. م للذهاب إلى المنفى.

أما عن أريسطفون فقد كان - كما يدل النص الأصلى - أحد كبار الموظفين التسعة (أو الأرخون) الذين كانوا ينتخبون كل سنة وتوزع عليهم الوظائف والمهام الكبرى، وقد كان المشرع والسياسى والشاعر الأثينى الشهير صولون

من أوائل الذين أعلنوا سخطهم على هذا النظام، كما أن النظام نفسه بدأ فى التحلل مع زحف الموجات الديموقراطية وزحزحة النبلاء والطغاة عن مراكز الحكم والتأثير، وذلك منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد، خصوصا على عهد كلايستنيس الذى كان له أكبر الفضل فى نشر الديموقراطية.

٨ - **مروج الإشاعات** : (٢) أو إذا قابل أحد الناس واجه نظرته العابسة بالابتسام وسأله.. (عن الترجمة الإنجليزية) .

(٤) الإشارة هنا إلى الصراعات الدامية التى دارت على مدى عشر سنوات فى مقدونيا (من سنة ٣١٩ إلى سنة ٣٠٩ ق. م) وربما أمكننا أن نستنتج من هذا تاريخ تأليف ثاوفراسطوس لهذا الكتاب..

(٥) عاش ثاوفراسطوس (٣٧١ - ٢٨٧ ق. م) فى شبابه ذروة الصراع الأخير بقيادة ديموستينيس للحفاظ على استقلال أثينا وحريتها من أطماع فيليب وولده الاسكندر الأكبر التوسعية. وفى حوالى سنة ٣٣٨ استطاع فيليب المقدونى أن يضم بلاد الإغريق برمتها تحت سيطرته. وعندما مات الاسكندر فى بابل سنة ٣٢٣ ق.م ، كان أحد قادته، وهو انتيباتر، هو الذى يتولى حكم مقدونيا وبلاد الإغريق أثناء غيبته الطويلة فى الشرق. تربع أنتيباتر على عرش الملك بعد وفاة الاسكندر، وعقب وفاته هو نفسه فى سنة ٣١٩ ق.م نشب صراع مسلح بين ولده كاساندر وبين بوليبرخون الذى كان أنتيباتر قد رشحه لخلافته. والمهم أن من الضرورى أن نأخذ هذه الخلفية المضطربة بعين الاعتبار عندما نفكر فى الشخصيات والطباع المختلفة التى قدمها ثاوفراسطوس ونفخ فيها أنفاس الحياة أثناء هذه الاضطرابات، ولابد من تذكرها أيضا إذا اطلعنا على كوميديات ميناندر وتوقفنا عند النساء والرجال والعبيد والتجار.. الخ الذين صورهم قلمه الرائع (راجع التمهيد...)

(٨) استدرار الدموع من الأعين لإقناع المستمعين بصدق ما يقوله مروج الإشاعات إضافة من المترجم الإنجليزى الذى يلجأ فى كثير من الأحيان إلى التصرف لإبراز المعنى وبث الحياة فى تضاعيف النص لكى تستساغ قراءته من جانب القراء المعاصرين... وقد تابعته فى بعض هذه التصرفات مع الحرس على وضعها بين قوسين...

(٩) يضيف المترجم الإنجليزى بعد هذه الفقرة فقرة أخرى- لم ترد فى النص الذى حققه ونشره الأستاذ بيتر شتاينتز واعتمد عليه المترجم الألمانى - وقد رأى (أى المترجم الإنجليزى) أن يثبت هذه الفقرة الختامية بعد انتهاء النص المحقق للفقرة الثامنة عن مروج الإشاعات، مع إغفال غيرها من الإضافات التى انتحلها كتاب متأخرون وألحقوها بفقرات عديدة أخرى (هى الأولى والثانية والثالثة والسادسة والعاشرة والثامنة والعشرون والتاسعة والعشرون) وذلك عندما تصوروا أنهم أمام كتيب ثمين فى فلسفة الأخلاق، واعتقدوا أن لديهم مايضيفونه إليه بزيادة فى الموعظة والاعتبار..

وإليك هذه الإضافة المتأخرة لنص الفقرة الثامنة عن مروج الإشاعات:

(إن الشىء الذى لا أفهمه عن أمثال هؤلاء الناس هو السبب الذى يجعلهم يفعلون هذا. فلا يقتصر الأمر معهم على التورط فى الكذب، وإنما يتعداه إلى الخسارة فى أعمالهم اليومية. إن البعض منهم ، هذا شىء يتكرر حدوثه، قد سرقت معاطفهم فى الوقت الذى كانوا فيه يخطبون أمام جمهور من المستمعين فى الحمامات العامة، والبعض الآخر خسر الدعوى المقدمة منه للقضاء بسبب تغيبة عن حضور الجلسة، بينما كان يحرز الانتصارات فى البرّ والبحر فى الاجتماع الشعبى تحت سقف الرواق، فضلا عن فريق آخر منهم فاتته وجبة

الغداء أو العشاء لأنه كان فى نفس الوقت مشغولا بفرض الحصار الكلامى على المدن.. والواقع إن انشغال هؤلاء الناس (بمثل هذه الأعمال) أمر يدعو إلى الرثاء الشديد. فهم مشغولون طول اليوم فى جميع الأماكن العامة وفى كل مصنع وكل ركن من السوق بإثارة الملل المميت فى نفوس المستمعين إليهم واستنفاد جهودهم وطاقاتهم بالأخبار والإشاعات الكاذبة التى يلفقونها...)

٩ - **الوقح** : الوقاحة Anaixuntia هنا تدل على معانى أخرى تدور فى فلكها وإن بدت غير وثيقة الصلة بها، كالغش والخداع، والرغبة فى الإثراء بأى وسيلة وإدمان التطفل على موائد الآخرين وممتلكاتهم، وذلك بجانب المعانى السلبية الأخرى الأعم من ذلك والتى تلتصق عادة بالسلوك الوقح..

(٣) كان من المعتاد فى هذه المناسبة أن يدعى الأصدقاء لحضور الاحتفال بتقديم الأضاحى والقرابين للآلهة، غير أن وقاحة صاحبنا تحمله على أن يدعو نفسه للطعام على موائد الآخرين ويستأثر باللحم فيملحه أو «يخلله» ويخزنه للمستقبل...

(٧) أو يذهب إلى بيت غريب (كما تقول الترجمة الحرفية فى النص الألمانى) - كذلك تحتمل العبارة الأخيرة أن تؤدى على هذا النحو - كما فعل المترجم الإنجليزى- : ثم يلزم الشخص الذى أقرضه إياها أن يحملها بنفسه إلى بيته - ولاشك أن هذا الطلب ألصق بالوقاحة..

(٨) كان الماء الدافىء يحفظ فى القدور النحاسية، ويطلب المستحمون من العامل أو صاحب الحمام أن يصب منه على رأسه وجسده بما يعادل «أوبولين» (كان الأوبول عملة إغريقية قديمة من الفضة ثم صارت نحاسية، وهى على العموم ذات قيمة متواضعة.)

١٠ - **النتن** : الكلمة الأصلية Mikrologia تعنى الصغار كما تعنى الشح الشديد إلى حد الوضاعة، ولأن كلمة «الصغير» لاتؤدى المعنى تماما، فقد فضلت كلمة النتن- التى تحتفظ بظلال المعنى العامى عندما يوصف شخص بأنه «قليل» أو نتن (دون أن تفوح منه بالضرورة رائحة منفرة!) والمعروف على كل حال أن النتانة يمكن أن تنصرف إلى كل شىء - حتى إلى الكلام والتفكير ! - ولاتقتصر على الإمساك عن الإنفاق إلى حد الوضاعة..

(١) أى أنه يتحاشى الإنفاق فيما يملك ويبالغ فى ذلك إلى حد الشطط..

(٢) ربما يكون المعنى أنه يذهب إليك أو إلى غيرك فيزعجك فى منتصف الشهر بأن يطلب منك فائدة صغيرة على الحساب (وتقدر قيمتها المتدنية بنصف أو بول (راجع الهامش الأخير - رقم ٨ - فى التعليقات على الفقرة السابقة فى الوقح والوقاحة...)

(٣) من المعروف فى الأساطير الإغريقية أن آرتيمس هى ابنة زيوس وليتو، والشقيقة التوأم للاله أبوللو، وأنها ولدت فى جزيرة ديلوس. وقد توحدت فى شخصها خصائص عدد من الآلهة المعبودة عند الإغريق، فهى إلهة الصيد والطبيعة العذراء ، وهى سيدة الحيوانات التى ارتبط اسمها بوجه خاص بالغزال والدب، وتعودت حوريات الماء أن تسير فى ركابها، وارتبطت كذلك بالقمر ارتباط شقيقها بالشمس. وإذا كانت قد اشتهرت بأنها إلهة العفة والطهر، فقد عرفت كذلك كإلهة لخصوبة فى النبات والحيوان - تبارك الزواج وتتضرع النساء باسمها إذا جاءهن المخاض.. وكثيرا ما صورت فى الأعمال الفنية وهى تحمل السهم والقوس والحربة وتتبعها الغزلان والحوريات، ولها تمثال فى متحف اللوفر يطلق عليه اسم «آرتيميس ڤرساى» ، وهو نسخة رومانية من

تمثال برونزى يرجع للنصف الثانى من القرن الرابع قبل الميلاد، وتبدو فيه وهى تنتزع سهمامن جرابها أثناء انشغالها بالصيد..

(٤) مابين قوسين زيادة للتوضيح، وهى مأخوذة عن الترجمة الإنجليزية (ص٤١)

(٥) لا أعلم هل كان العبيد يتقاضون عن خدماتهم الشاقة مالاً أم كان السادة يكتفون بإطعامهم. لهذا وضعت الاحتمالين معا.

(٦) الكلمة الأصلية معناها القرش (أو البنسات الثلاثة كما نجد فى الترجمة الإنجليزية الأوبرا القروش الثلاثة المشهورة للكاتب المسرحى الألمانى برشت الذى أخذ فكرتها بدوره عن أوبرا بالاسم نفسه للإنجليزى جون جاى..)

(٧) الضرر هنا يرادف إتمام صفقة خاسرة..

(٩) أى الأحجار التى تعيَّن بها الحدود الفاصلة بين أرضه وأراضى غيره.. ومن الواضح أن كل هذه الأعمال تكشف عن صغار صاحبنا وشحه إلى حد «النتانة».

١١ - **الفظ**: الكلمة التى وضعها المؤلف عنوانا لهذه الفقرة وهىBdeluria تدل فى الأصل على نوع من السباب المقذع، كما تتصل بكل مايثير النفور والتقزز فى النفس، ويكاد وصف المواقف المختلفة لصاحب هذه الشخصية أن يقتصر على الجوانب المضحكة من سلوك هذا الإنسان المقزز والكريه الفظ..

(١) أو هو نوع من المزاج الخشن..

(٨) بعد هذه الفقرة التى ينتهى بها النص الأصلى وترجمته الألمانية، يورد المترجم الإنجليزى أربع عبارات أخرى أوردها المترجم الألمانى فى الفقرة التاسعة عشرة المخصصة لشخصية المقزز أو الكرية. وإذا دلّ

هذا على شيء فإنما يدل على الاختلاف فى ترتيب فقرات النص بين ناشر وآخر، وذلك كما نلاحظ هنا بين نشرة أو شر الإنجليزى وشتاينمتز الألمانى..

١٢ - **عديم الذوق** : الكلمة الأصلية فى عنوان هذه الفقرة، وهى Akairia تدل على تفويت اللحظة المناسبة للقول أو الفعل أو عدم اختيار «مقتضى الحال» والظرف بالـAkairosأو عديم الذوق .. ومما يذكر أم الكلمة الكايروس Kairos أو اللحظة المواتية تاريخا عريقا فى الأدب والفلسفة منذ عهد الحكماء السبعة الإغريق إلى الفلاسفة المحدثين والمعاصرين من كيركجارد إلى هيدجروباسبرز وباول تليش (راجع إن شئت مقالا لكاتب هذه السطور عن اللحظة الخالدة ضمن كتابة شعر وفكر، هيئة الكتاب، القاهرة ، ١٩٩٥، ص ١٨٩ وما بعدها).

(١) هكذا فى الترجمة الإنجليزية، أما الألمانية فتقول ما معناه إن عدم ملاءمة الوقت المناسب هى توافق زمنى مؤلم للواقعين تحت تأثيره أو ضاربهم.

(٣) فى الترجمة الإنجليزية أنه ينشد لها أغنية حب عندما تكون مصابة بنزلة برد..

(٨) فى الترجمة الإنجليزية: بعد أن تكون قد انتهيت من بيع بيتك.

١٣ - **المفرط فى حماسة** : (٥) أى يفصل بين اثنين مشتبكين فى شجار أو عراك حتى ولو كان لايعرفهما.

(٦) أو يتطوع ليدل غيره على طريق مختصر، وإن لم تكن لديه أدنى فكرة عن الطريق الذى يسير فيه... (عن تصرف المترجم الإنجليزى).

(١٠) كان من عادة الإغريق عند وفاة امرأة أن يقتصروا على نقش اسمها مع اسم الأب والزوج، كما أن صفة «المحترم أو الفاضل أو الطيب Xrestos لم تكن تنسب لكل من يدون اسمه على شاهد القبر. والمفارقة هنا تكمن فى أن صاحبنا «المفرط فى حماسه» ليس ملزما على الإطلاق بإقامة شاهد قبر لامرأة لم يتضح لنا من النص أنها تمت إليه بصلة قرابة، دع عنك أن يجشم نفسه عناء تدوين الأسماء على هذا الشاهد.. ولكن المؤلف يحاول فيما يبدو أن يؤكد أن صاحبنا المغالى فى عواطفه يظهر الشهامة فى غير موضعها...

١٤ - **البليد** : الكلمة الأصلية Anaisthesias و Anaisthetos تدل أساسا على توقف الإدراك الحسى، وانعدام الشعور أو التبلد - وواضح من النص أن المقصود هو غياب الحضور الذهنى أو بطء الفهم والافتقاد للفطنة والوعى.

(١) حرفيا خمول النفس أو بطئها فى الفهم و الوعى.

(٧) أو هذا من بخته أو من من حسن حظة!

(١٢) هذه الفقرة مضطربة فى النص الأصلى، وقد صاغها المترجم الإنجليزى على هذه الصورة: «وعندما يسقط المطر يقول» ما أزكى هذه الرائحة التى تهب من السماء، وذلك فى الوقت الذى يقول فيه غيره «من الأرض».

١٥ - **المتعالى**: تحتمل كلمة، منها الصفة معانى كثيرة من أهمها الزهو أو العجب بالنفس الذى ينطوى بالضرورة على الادعاء والغرور والتكبر واحتقار الغير والتقليل من شأنهم.. - وقد أداها المترجم الإنجليزى بالعدوانى وفضلت عليها المتعالى..

١٦ - **المؤمن بالخرافات**: عنوان هذه الفقرة وهوOeisidaimoia يدل

بمعناه الإيجابى على توقير الآلهة وإجلالهم والخشوع لهم، فإذا زاد كل هذا عن حده أمكن أن يؤدى إلى الإيمان بالخرافات والأوهام - وقد فكرت فى اختيار كلمة الموسوس - على الرغم من ظلالها النفسية والمرضية - للتعبير عن طباع هذه الشخصية التى تسكنها الهواجس وتتسلط عليها الخرافات، ثم عدلت عنها واستقر رأيى على المعنى المباشر..

(٢) كان لأوراق الغار، فى تصور قدامى الإغريق، القدرة على طرد القوى الشريرة.

(٤) كانت الثعابين غير السامة مقدسة لدى ساباسيوس (زيوس أو جوبيتر عند الرومان) كما كانت تعتبر رموزا للأبطال الراحلين.

(٥) يبدو أن هذه الأحجار المباركة كانت متوافرة بكثرة، غير أن التكريم والتوقير الذى تحظى به من المؤمن بالخرافات لايخلو من مبالغة مضحكة..

(٦) كان هؤلاء المفسرون يتمتعون بما يشبه السلطة الرسمية، ولكن معرفة رأيهم فى مثل هذا الفأر العدوانى لا تخلو كذلك من سخرية..

(٧) كانت هيكاتيه آلهة قديمة جدا وربما جاءت فى الأصل من آسيا الصغرى. وقد عرفت منذ القرن السادس قبل الميلاد إذ ورد ذكرها فى أنساب الآلهة (الثيوجونيا) بهزيود ثم فى كثير من المسرحيات التراجيدية والكوميدية منذ القرن الخامس. وتعتبر آلهة «شعبية» للسحر والأشباح، تظهر للبشر بالليل فيفزعون من منظرها. وهى تقود الأرواح على ضوء المشاعل بينما الكلاب تنبح فى موكبها، وتقيم فى المدافن وعلى مفارق الطرق، ومن هنا جاءت تسميتها بتريفيا أو ألهة الطرق الثلاثة وبأنتيا أو الهة السحر

(٨) لم تكن البومة علامة شؤم، ولكن المؤمن بالخرافات كما يوصف فى هذه الفقرة يتوجس شرا من كل شىء..

(١٠) لايعرف شىء مؤكد عن دلالة هذه الأعمال والطقوس، كما أن النص فى هذا الموضع مضطرب ولا يساعد على الاتفاق على رأى موحد بشأنها. وهيرما فرود يتوس هو الابن الجميل الذى أنجبه الاله هرميس (رسول الآلهة إلى البشر) من أفروديت، وهو يرمز للجنسية المزدوجة فى شخص واحد، وكانت صوره وتماثيله التى بدأت تقام له فى البيوت منذ القرن الرابع قبل الميلاد تحظى بالتكريم وتقدم لها الطقوس..

(١١أ) التكريس هنا بمعنى «التدشين» أو الدخول فى جماعة سرية ذات عبادة خاصة وطقوس سرية يحظر ممارستها أو معرفة شىء الا للأعضاء المنتمين إليها. ولا يتضح من النص أى شىء عن طبيعة هذا التكريس وطقوسه، بالإضافة إلى أن كهنة أورفيوس لم يكونوا يتمتعون بسمعة طيبة ولم يكن لهم أى طابع رسمى..

(١٢) من المعروف عند الإغريق وغيرهم من الشعوب القديمة أن للماء المالح فى البحار قدرة على التطهير

(٢٣) وهذه السطور أيضا موضع خلاف بين الناشرين والشراح. وكان يعتقد أن للثوم قدرة على التطهير ومقاومة الشر. ويلاحظ أن هيكاته تعود هنا أيضا للظهور حيث يحاول المؤمن بالخرافات أن ينجو من سحرها وشرها..

(١٤) يسود الاعتقاد حتى اليوم بأن البصق يحمى من سوء الحظ، ولا شك أن هذه الخرافات تنتمى للفولكلور والمعتقدات الشعبية وتعبر عن تصورات الرجل العادى وعن مخاوفه وآماله منذ القدم..

١٧ - **التذمر**: التذمر Mempsimoiria بمعنى السخط على الحظ المقدور بجانب الميل المستمر إلى الشكوى والتظلم..

(١) أو السخط على حظه من الحياة ونصيبه الذى قسم له فى هذه الدنيا..

(٤) فى صياغة أخرى: لا لأن السماء تمطر، بل لأن المطر تأخر كثيرا. ويلاحظ أن الطباع التى يتسم بها المتذمر تتداخل إلى حد كبير مع طباع سيىء الظن أو المتشكك وعديم الثقة فى الناس كما سنجدها فى الفقرة التالية..

١٨ - **سيىء الظن**: Apistias و Apistios تعنى سوء الظن والتشكك فى كل شىء وعدم الثقة فى الجميع ...

(١) أو بتعبير أبسط هو افتراض أن كل الناس تغشك وتظلمك...

(٤) أو أغلقت صندوق النقود..

(٥) لعل المقصود من وراء ذلك أنه حتى ولو لم يحصل منهم شيئا فسيكون على الأقل قد أنذرهم أمام الشهود..

(٦) للتنظيف أو الرفى والترقيع ..

١٩ - **المقزز**: عنوان هذه الفقرة Qusxereia والصفة منها dusxeres يمكن أن يفهم منها تلك الحالة المزرية التى تظهر الإنسان فى مظهر كريه ومنفر ومثير للتقزز فى نفس كل من تقع عينه عليه، كما هو مثير للاستغراب من القذارة التى وصل إليها (حتى الفقر والظلم الاجتماعى وغيبة التكافل الحقيقى لايمكن أن تبرر أو تغفر قذارة المواطنين الذين نراهم فى شوارع مدننا وعلى أرصفتها بصورة مهينة للمجتمع كله وللإنسان والإنسانية !)

(٣) وبالطبع يجعل الاقتراب منه أو محاولة الكلام معه شيئا لايطاق..

(٥) هكذا فى الأصل ، ولكن الترجمة الإنجليزية تتصرف فيها على هذه الصورة: وهو لايغتسل قبل أن ينام مع زوجته.

(٦) الفعل الوارد فى الأصل وهو Sfusesthai يعنى رفع النبض أو إثارة النشاط في الجسم إلى حد الجيشان، والمقزز يصب الزيت الزنخ على الماء الذى يستحم به لكى يحدث هذا الأثر فيما يبدو من ظاهر النص. ومع ذلك فان الترجمات تتفاوت فى أداء العبارة الأصلية، والمهم أن استعمال الزيت الزنخ يجعل رائحة المستحم مقززة ولاتحتمل، وبخاصة عندما يسيل منه العرق..

(٨) أى يقرأ البخت عن طريق رصد حركة الطيور، وربما كانت كلمة «التطير» ذات صلة بهذا النوع من قراءة الحظ..

(٩) يلاحظ أن تريتب العبارات الثلاث التالية (من التاسعة إلى الحادية عشرة) أمر مختلف عليه بين الناشرين..

٢٠ - **الجلف:** يمكن فهم الكلمة الأصلية وهى Aedia ومنها الصفة Aedes بأنها سلوك سقيم ينم عن قلة الذوق ويبعث على الضيق ولكنه لايؤذى. ومن هنا يكون القائم بهذا السلوك هو الشخص المتعب أو المزعج أو غير المريح. وقد فضلت أن أسميه الجلف لقدرته على التعبير بجدارة عن كل هذه المعانى والظلال غير المستحبة..

(٥) أو الوغد الصغير الطالع لأبيه...

(٦) يبدو أنه شراب يعدُّ من أعشاب معينة ويخلط بالنبيذ ليساعد على الإسهال الشديد.

(٨) النص مضطرب ويتعذر فهمه، ولهذا تتفاوت ترجماته عن بعضها تفاوتا شديدا - ولعل المقصود أن كل إنسان ينطوى على الخير والشر والسرور والألم على السواء، ولايمكن تصور بشر لم يجربهما معا.

والمهم على كل حال أن الجلف يبدأ هنا فى الكلام عن نفسه..

(١٠) راجع الشخصية الثانية (وهى شخصية المتملق) فى هذه المجموعة من أصحاب الطباع المختلفة، وقارن وهذه الفقرة بما يقال فى الفقرة العاشرة.

٢١ - **الطموح**: الكلمة الأصلية Mikrofilotimias تعنى كذلك الغرور والعجب بالنفس والتطلع الحقير للظهور فى الصورة - كما يقال فى أيامنا - أى الطموح الرخيص الذى يتعارض مع الشرف والكبرياء ويؤكد به صاحبه أهميته المزعومة - وقد فكرت أن استخدم كلمة المتطلع ثم استبعدتها واستبدلت بها كلمة الطموح، بشرط ألا يغيب عن ذهن القارىء أن المقصود هو الطموح الانتهازى الذى يقوم فى تقديرى على «الشطارة» و «الفهلوة» والجرى وراء العلاقات العامة ولا شأن له بالطموح الحقيقى المتدفق كالشلال الجياش من نبع البذل والعطاء والعمل الجدى والاحساس بالكرامة وعزة النفس. ولاحاجة للقول بأن حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ،الثقافية بوجه خاص قد أصبحت اليوم كالمدن القديمة والوسيطة المحاصره بهذا الوباء الكاسح أو بطاعون العصر..

(٣) وذلك احتفالا بوصوله إلى سن البلوغ بتقديم شعره إلى أبوللو (فى معبده المشهور فى دلفى) الذى حُلِقَ شعره فى سن الخامسة عشرة.

(٤) وهو بطبيعة الحال نوع من الحرص على المظاهر وتأكيد الوجاهة والأبهة لدى الطبقة البرجوازية الصغيرة التى كانت فى القرن الرابع قبل الميلاد وفى أثينا بوجه خاص فى ذروة صعودها... مع العلم بأن اقتناء العبيد من الزنوج أصبح «موضة» (بدعة منتشرة) فى بلاد

الإغريق منذ حروب الاسكندر الأكبر..

(٥) ربما يكون هذا حرصا من «الطموح» على ردّ دين سابق (لاحظ قيمته المتدنية!) بالعملة الفضية الجديدة، حتى لايحس أحد بأن له فضلا عليه...

(٦) يقحم المترجم الإنجليزى هنا عددا من الجمل التى وضعها الناشر والمترجم الألمانيان - اللذان سبقت الإشارة إليهما والإشادة بجهدهما - فى الفقرة الخامسة المخصصة «للمجامل»، وتجدها فى الفقرات ابتداء من الرقم ٦ - إلى الرقم ١٠ ولاشك أن هذا يعطينا فكرة واضحة عن الاختلافات بين الناشرين حول ترتيب فقرات النص الأصلى وإصلاح بعض الثغرات، والتفاوت بينهم تبعا لذلك فى ترجمته إلى لغاتهم... والطائر النادر الذى يحتفظ به صاحبنا الطموح إلى المظاهر هو نوع من الغربان يسمى فى المعاجم العربية (المورد!) بالعقعق أو غراب الزيتون...

(٩) كلادوس معناها فتى أو شاب من مالطة...

(١٠) يبدو أن مثل هذا الخاتم الذى يتخذ شكل أصبع صغير كان يصنع من معدن صلب ويقدم فى الاحتفال بعيد إله الطب والشفاء أسكليبيوُس ، تبركا به وحمدا له لأنه شفى أصبع صاحبنا الطموح من مرض أصابه..

(١١) البيراتيون هم كبار الموظفين أو الرؤساء الذين يشغلون أهم المناصب فى المدينة كما ينتخبون أُعضاء فى المجلس الشعبى..

٢٢ - **الوضيع** : فى الأصل Aneleutheria و Aneleutheros وتدل على السلوك الذى لايشرف الإنسان الحر، بخاصة فيما يتعلق بالشح المهين فى الإنفاق...

(٢) أى اسم زيوس وحده.. ويلاحظ أن هذا الوضيع - أى الشحيح بماله إلى حد الوضاعة - يحتفل على طريقته بالنصر أو الجائزة التى استحقها كرئيس للجوقة أو مسئول عن إعدادها وتزويدها بالملابس والزخارف - وذلك من حيث المادة التى اختارها ليصنع منها اللوح الذى سيهبه لزيوس، ومن حيث الاختصار الشديد فى النقش على هذا اللوح..

(٦) كانت المدارس تتمتع برعاية ربات الفنون، ولايزال عيد المدارس فى بلاد الغرب مرتبطا بالعيد القديم..

٢٣ - **الفشار**: (١) الفشر هو المبالغة فى الإدعاء والكذب، وهى من الكلمات العامية التى سمح لها المجمع اللغوى بالدخول فى المعجم الوسيط..

(٣) أى لم يغادر أثينا أو منطقة أتيكا بوجه عام..

(٤) راجع الهامش رقم (٥) من الفقرة الثامنة عن مروج الإشاعات : و «أنتيباتر» هو - كما سبق القول - أحد قواد الأسكندر، وتولى حكم مقدونيا أثناء غيبته فى الشرق، وبعد وفاة الأسكندر فى سنة ٣٢٣ ق. م نصب نفسه ملكا ومات سنة ٣١٩ ق. م وقد كانت مقدونيا من أهم البلاد التى تورد الخشب لأثينا وتحصل الجمارك على تصديره. ويلاحظ أن الفشار يدعى أنه رفض صفقة استيراد الخشب لكى لايتهم بأنه من أنصار المقدونيين فى وقت كان الصراع فيه محتدما بين هؤلاء وبين المدافعين عن حرية أثينا واستقلالها بزعامة السياسى والخطيب المشهور ديموستينيس..

(٥) التالنت عمله نقدية عالية القيمة، وتقدر التالنتات الثلاثة بما يساوى اليوم أربعين ألف جنيه مصرى أو عشرين ألف مارك ألمانى..

(٦) كان يطلب من الأثرياء أن يتطوعوا على نفقتهم الخاصة بتجهيز

سفينة حربية أو التبرع بتكلفة جوقة مسرحية من ملابس وأكسسوارات وتدريبات.. إلخ وذلك مشاركة منهم فى العمل فى سبيل الصالح العام...

(٨) يكفى لتأكيد هذا الفَشْر أن نقول إن العملة السائدة فى أثينا كانت فضية،

٢٤ - **المتعجرف** : (٤) يبدو أن المتعجرف يشارك كأحد المحلفين فى القضايا التى تتطلب التحكيم فيها، ومما يدل على عجرفته أنه يصدر قرار التحكيم بغير تأن أثناء سيره فى الطريق، وقد حاولت التوفيق بين الترجمتين الألمانية والإنجليزية.

(٦) أى أن عجرفته تأبى عليه أن يكون البادىء بالتعرف على إنسان أو التقرب منه.

(٧) أو الموردون الذين لديهم شىء يبيعونه له، ويمكن أن يكون المستأجرون هم الذين يستخدمهم فى العمل لديه.

(١١) أى التطيب بالمسْح على أعضاء الجسد بدهان أو بلسم معين.

(١٢) ربما كانت هذه قطعا من الحجارة تستخدم فى العد والإحصاء كما كان الحال لدى شعوب كثيرة فى البدايات الأولى لتاريخ الرياضيات (وهذا ترجيح لا أجزم به ولا أفتى فيه!)

٢٥ – الجبان :

(١) الكلمة الأصلية الانكماش أو التضاؤل أو حالة النكوص والتراجع التى تصيب النفس إزاء الخطر، والمهم أنه نوع من الضعف أو التخاذل كما وصفته..

(٢) كان الاعتقاد الشائع أن كل من يدخل فى عبادات الأسرار الساموثراكية (نسبة إلى جزيرة ساموثراكى الجبلية أمام الشاطىء

الجنوبى لثراقيا، واشتهرت بالمعبد المقدس لكبار الآلهة الذى كان مخصصا للجماعات السرية لعبدة الأسرار) ينجو من أخطار البحر.

٢٦ - **الأوليجاركى (أو المتسلط)** (١) الأوليجاركى Oligarxikós هو الوصف الذى يطلق على الشخص (أو الشىء) المتعلق بالأوليجاركية أى حكم الأقلية الثرية. وطبيعى أن يكون التحيز لهذا الشكل من أشكال الحكم مرتبطا بالمزاج الرجعى وبالوضع الطبقى والاقتصادى، وأن ينعكس على طباع صاحبه كما ينعكس الميل إلى الحكم الديموقراطى على خلق وشخصية من يؤيد الديموقراطية. لهذا يمعن المؤلف فى سرد المواقف الأنانية المتزمتة للثرى - أو الرأسمالى القديم (- الذى يحتقر الفقراء ويسميهم الرعاع، ويخجل من وجود المحرومين والجائعين بجانبه، ويشكو مرَّ الشكوى من النفقات التى يطالب بالتبرع بها للصالح العام (كالمساهمة فى تكاليف الحرب البرية والبحرية وتدعيم المسرح والمعاونة فى تجهيز الأعياد الوطنية والاحتفالات الدينية والشعبية.)

(٢) كان الأرخون إيبونيموس - رئيس المدينة يتولى الإشراف على الأعياد والاحتفالات ويوصف بصاحب السلطة المطلقة -Autokrata

orفى هذا الشأن، وهو وصف لا يخلو من السخرية بالقياس إلى هذه المهمة..

(٥) يضيف المترجم الإنجليزى بعد العبارة السابقة التى يستنكر فيها الأوليجاوكى تدخل المتطفلين فى الأمور السياسية عبارة لم ترد فى الأصل الذى بين يدىّ ولا بأس من ذكرها لدلالتها على أنانيته وكراهيته للفقراء والطبقات العاملة: «إن الطبقات العاملة لاتتغير، فهى دائما

جاحدة ومستعدة لطاعة كل من يقدم الرشوة أو البقشيش.» راجع ما يقوله بعد ذلك عن الغوغائيين الذين يتصور أنهم يزدهرون فى ظل الديموقراطية التى يكرهها كما كرهها من قبله كل من سقراط وأفلاطون ، ربما لأن الديموقراطية على عهدهما كانت فاسدة، لأنها انتقمت من سقراط الذى شجع الناس – وأولاد الأغنياء والحكام بوجه خاص! – على التساؤل والتفكير فى كل شىء، الأمر الذى جعلهم يشعرون شعورا حادا بتهديد «التفلسف الحر» لوجودهم ومناصبهم، فارتكبوا جريمة إعدام سقراط التى لم يغفرها لهم تلميذه أفلاطون...

(٦) يعدُّ ثيسيوس مؤسس الديموقراطية الأثينية وأول ضحاياها. وقد أدين للسبب الذى ذكر فى هذه الفقرة من أول محكمة قضت عليه فى شيخوخته بالنفى إلى جزيرة سكيروس التى ألقى بنفسه من فوق صخورها أو سقط عليها ويضيق المجال عن ذكر مغامراته (ومن أهمها الانتصار على ثور الماراتون وقتل ثور المينوتاوروس فى المتاهة المشهورة التى خرج منها بمساعدة أريادمة ابنة ملك كريت.) والمهم أنه اعتبر منذ القرن الخامس ق. م بطلا قوميا لأثينا، ومؤسس الديموقراطية فيها وأول ضحاياها الجدير بالذكر أن أرسطو يعبر عن هذا الرأى أيضا فى كتابه نظام الأثينيين، ٤١ – ٢ راجع ترجمة طه حسين) ولكن بصورة أكثر تحفظا من تلميذه وصديقه ثاوفراسط...

٢٧ - المتعلم على كبر:

(١) الكلمة المستخدمة ، وهى Opsimathia تدل على التعلم فى سن متأخرة أو على كبر. وأفضل نموذج معبر عن هذه الشخصية فى الأدب اليونانى القديم هو «فيديبيديس» فى مسرحية السحب لأرسطوفان، أما فى الأدب الأوربى الحديث فإن شخصية البرجوازى

النبيل - فى مسرحية موليير المعروفة بهذا الاسم - هى التى تخطر على البال بغير استئذان، وربما ابتسمنا ونحن نتذكر أن هذا المواطن الفرنسى لم يعرف إلا بعد أن بلغ أرذل العمر إنه كان طول حياته يتكلم نثرا، وذلك بعد أن تعلم على كبر أن الكلام ينقسم إلى نثر وشعر !..

(٢) يمكن أن تكون أبيات الشعر المذكورة جزءا من إحدى المسرحيات التراجيدية.

(٥) كان من عادة الشباب فى الاحتفال بتقديم الأضاحى فى معابد هرقل أن يحملوا الثور إلى أعلى ويشدوه من قرنيه ليلووا عنقه قبل الذبح.

(٨) لا يعرف شىء مؤكد عن تفاصيل هذه الطقوس أو طبيعة الأحداث التى كانت تتم أثناء تأديتها.

(١١) ولا نعرف كذلك شيئا عن أمثال هذه النوادى أو الاتحادات، ولكن يفهم من السياق أن الشباب كانوا ينظمون الاحتفالات «لكبار السن». ويتصرف المترجم الإنجليزى بعض التصرف فيؤدى العبارة على هذه الصورة: وهو فى الاحتفال بالأيام العشرة يؤلف مجموعة للغناء معه.

(١٢) يبدو أن هذه اللعبة كانت مجهولة فى وقتها كما هى مجهولة لنا..

٢٨- النمام:

(٢) يكشف تغير الأسماء فى هذه الفقرة عن التحويلات الطبقية التى تمت فى الفترة التى وضع فيها هذا الكتاب أو على الأقل فى عصر ثاوفراسط وسوسياس اسم يطلق كثيرا على العبيد. أما المقطعان «ستراتوس» و «ديموس» فيدلان بالترتيب على الجيش والشعب. وأما

عن «كوينوكوراكا» – وهو اسم السيدة التى تنحدر من أصل نبيل، فيبدو أنه صياغة يونانية لاسم أجنبى، وإذا جاز أن يترجم أصلا فربما يدل على نوع من الغربان..

(٣) الترجمة الحرفية هنا مستحيلة، إذ تتصل الكلمات بلغة البغايا والعاهرات ومصطلحاتهن فى ذلك العصر القديم.

(٤) كان جهاز العرس (أو الدوطة) يبقى فى البيت بعد إنجاب طفل. أما الاحتفال بعيد بوزيدون – إله البحر – فكان يتم فى فصل الشتاء، ولكننا لا نعرف شيئا يذكر عن هذا العيد .

٢٩ - الفاسد (أو المجرم):

الكلمة الأصلية وهى Philoponeria ومنها الصفةPiloponeros تعنى بوجه عام حب الشر أو الميل المتأصل للفساد والجريمة والانحراف. والجدير بالذكر أن كلمة المفسدين أو الأشرار كانت تطلق فى العصر الذى وضع فيه هذا الكتيب (أى فى الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد) على الديموقراطيين. ولاشك أن وصف المؤلف للفساد والمفسدين ينطوى على معانى وإشارات سياسية غير خافية، ويمكن أن يعد وصفه للديموقراطيين بمثابة الطرف المقابل لوصفه للأوليجاركيين أو المناصرين لحكم الأقلية الثرية (راجع الفقرة ٢٦ الخاصة بالأوليجاركى) ويلاحظ أخيرا أننى حاولت التوفيق بين الترجمتين الألمانية والإنجليزية ابتغاء الوضوح وتقديم نص مقرو بقدر الإمكان، وذلك مع وضع كل إضافة لهذا الغرض بين قوسين..

٣٠ - البخيل:

تدل الكلمة الأصيلة Aisxrokerdeia بحسب تركيبها على الجرى

المخزى وراء الكسب.

(٩) كانت العملة السائدة فى أثينا هى العملة الفضية، ولذلك تحول إليها العملات النحاسية الزهيدة القيمة. وقد ورد ذكر التالنت والمينة والدراخمة فى النص وفى التعقيبات، وكان التالنت يعادل مائة مينة، والمينة تساوى مائة دراخمة.

(١٠) يجرجرها أو يسحبها وراءه إضافة تنطوى عليها الكلمة الأصلية Ephelkusai والظاهر أن المعطف أو العباءة كانت من الطول بحيث يتدلى طرفها على الأرض.

(١١) الفيدونى نسبة إلى فيدون الأجواسى (حوالى سنة ٧٥٠ ق. م) الذى كان ملكا أو طاغية على أرجوس ووحد سكانها وأمنَّها من هجمات الأسبرطيين بالدخول فى حلف كورنثة وايجينا بحيث أصبحت على عهده أهم دولة فى البيلوبينيز (شبة جزيرة المورة) واشتهر فيدون بأنظمة القياس الجديدة التى أدخلها فى بلده - والمهم فى هذا السياق أن هذا المقياس المنسوب إلى فيدون الأرجوسى كان أصغر من نظيره الذى نسب بعد ذلك للمشرع والشاعر والسياسى المشهور صولون - ويرجح بعض علماء اللغة أن الفعل Pheid - Omai - ومعناه يوفر - ربما يكون متصلا بصاحب المقاييس والمكاييل الشحيحة!

(١٢) النص الأصلى هنا غامض والمعنى غير مؤكد، ولكن المترجمين يتفقان على أن صاحبنا البخيل يحتال على صديقه البائع الذى يعتقد أنه يبيع بضاعته بأسعار معقولة، وبمجرد أن يحصل البخيل عليها يتصرف فيها بالبيع بسعر أعلى..

(١٤) كان يحتفل فى شهر فبراير بعيد الأنثيستيريون تكريما للآله

ديونيزيوس وللأموات، وكذلك بعيد الدياريون الذى كان العيد الرئيسى للاحتفال بكبير الآلهة زيوس.

(١٥) الظاهر أن تحويل العملة النحاسية المتدنية القيمة إلى عملة فضية لم يكن يتم بدون تحصيل «نسبة» معينة..

(١٦) كان المألوف فى الولائم الجماعية التى تمولّ من خزانة جماعة أو ناد أو اتحاد معين ألا يضيف رب البيت - الذى تقام فيه المأدبة - أجرة خدمة على الحساب. ولو فعل صاحبنا البّخيل هذا لما وصف بالبخل !..

إشـــارات

المؤلف : ثيوفراسطوس

تلميذ أرسطو وصديقه وخليفته مدة ٣٥ عاماً فى رئاسة المدرسة المشائية بأثينا. ولد بمدينة أريزوس ٣٧١ ق.م. ومات ٢٨٧ ق.م. يبدو أن هذا الكتاب «الطباع» كان مقدمة لكتاب فقد معظمه عن الكوميديا. دام تأثيره الضخم على الثقافة الغربية ابتداءً من تلميذه ميناندر إلى موليير والكتاب الأخلاقيين الفرنسيين فى القرن ١٨ / ١٩ ولا يزال لهذا الكتاب الذهبى تأثير كبير حتى الآن.

المترجم : عبد الغفار مكاوى

كاتب وأستاذ سابق للفلسفة بجامعات القاهرة وصنعاء والكويت. مواليد ١٩٣٠ دقهلية. تخرج فى آداب القاهرة ٥١. دكتوراه الفلسفة والأدب الألمانى الحديث من جامعة فرايبور بألمانيا ٦٢، من أبرز كتبه: مدرسة الحكمة / نداء الحقيقة / لم الفلسفة / البلد البعيد / ثورة الشعر الحديث. من مجموعات قصصه : ابن السلطان / الست الطاهرة / الحصان الأخضر. من مسرحياته : من قتل الطفل / زائر من الجنة / بشر الحافى / الليل والجبل. من ترجماته : الرسالة السابعة لأفلاطون / الدعوة للفلسفة لأرسطو / المونودولوجيا لإيدنس / تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق لكانط / ثلاثة نصوص لهايدجر / الديوان الشرقى لجوته.

الفنان : محمد رزق

مواليد دمياط ١٩٣٧. التحق بشركة الحديد والصلب ١٩٥٩. حصل على جائزة وزارة الثقافة التشجيعية ٦٢. شارك فى معظم المعارض الخارجية (بيروت، بروكسل، باريس، براغ، بوسطن) له مقتنيات عديدة فى مصر والخارج. وهو نحات انتبه للمعادن منذ الصغر فوجد فيها ضالته المنشودة حيث بهرته خامة النحاس فوقع أسيراً لها.

آفاق الترجمة

(يوليو ٩٦ ـ يونيو ٩٧)

عـراف الضـوء	شعر للبكفوفين الإسبان ترجمة : إلهـام عيسـى
التأويل والتأويل المفرط	تأليف : امبرتو اكو ترجمة : ناصر الحلواني
عصر البنيوية	تأليف : إديث كريزويل ترجمة : د. جابر عصفور
الدراسة النفسية للأدب	تأليف : مارتن ليندار ترجمة : د. شاكر عبد الحميد
هبوط الليل	شعر : و. هـ. أودن ترجمة : د. ماهر شفيق فريد
الغرفة الغارقة	شعر : جاك آنصى ترجمة : محمد بنيس
قصيدة النثر	تأليف : سوزان برنار ترجمة : د. زهير مجيد مغامس
ساعي البريد يدق الباب مرتين	رواية : جيمس كين ترجمة : أحمد عمر شاهين
قصر الضحك	شعر : زبيجنيف هيربرت ترجمة : عبد المقصود عبد الكريم
الملاك الصامت	رواية : هاينرش بول ترجمة : طلعت الشايب
مصباح اللذات	الشعر الفارسي المعاصر ترجمة : محمد اللوزى
الأنا الآخر	قصص من أمريكا اللاتينية ترجمة : د. طلعت شاهين
السرير المائدة	شعر: بول ايلوار ترجمة : إدوار الخراط
همس الأمواج	رواية: يوكيو ميشيما ترجمة : مدحت محمد عبد العزيز
الدودة الهائلة	كافكا، الأعمال الكاملة ـ ١ ترجمة : الدسوقى فهمى
النقد الأدبى	مجموعة نقاد فرنسيين ترجمة : د. هدى وصفى

آفاق الترجمة

(يوليو ٩٧ ـ يونيو ٩٨)

أغانى شيراز (ج ١)	غزليات : حافظ الشيرازى ترجمة : د. إبراهيم الشواربى
حرب مع السمندر	رواية: كارل تشابك ترجمة : حسين العامل
هذا هو الإنسان	تأليف : نيتشه ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد
منظورات	نصوص : چورچ حنين ترجمة: بشير السباعى
أغانى شيراز (ج ٢)	غزليات : حافظ الشيرازى ترجمة : د. إبراهيم الشواربى
رسائل إلى ميلينا	رسائل: كافكا ترجمة : الدسوقى فهمى
اكتب إليك من بلد بعيد	نصوص : هنرى ميشو ترجمة : سامى مهدى
السقوط على الأرض	أشعار : تيد هيوز ترجمة : سهيل نجم
بيانات السوريالية والأوانى المستطرقة	نصوص : أندريه بروتون ترجمة : صلاح برمدا
موجز تاريخ الاتحاد السوفيتى	تأليف : روچيه جارودى ترجمة : نورا أمين
تاريخ المسألة المصرية	تأليف : تيودور رتشتين ترجمة : عبد الحميد العبادى ومحمد بدران
الدمقراطية	تأليف : دليل بيرنز ترجمة : محمد بدران
امرأة فى الثلاثين	تأليف : مجموعة كتاب قصة ترجمة : علاء الديب

آفاق الترجمة

(يوليو ٩٨ ـ يونيو ٩٩)

كتاب الطباع

تأليف : ثيوفراسط
ترجمة : عبد الغفار مكاوى

فى الأعداد القادمة

الطفل المنبوذ
عدوى اللدود وأحلى سنين
نهاية العالم هذا المساء
محاكمة ترابيس
شهر العسل المر
التراث والتطور
لماذا نقرأ الأدب الكلاسيكى
قراءة الرواية
فن الرواية
الغول

كتاب الطباع

أثرَّ هذا «الكتيِّب الذهبى» طوال ثلاثة وعشرين قرناً على أجيال متتابعة من الأدباء والمربين وفلاسفة الأخلاق وكتاب المسرح، وذلك من «ميناندر» إلى موليير.

ولم يتوقف الإعجاب بكتاب الطباع فى العصور القديمة ولا فى العصور الحديثة، وذلك منذ أن وضعه تلميذ أرسطو وصديقه وخليفته فى رئاسة المدرسة المشائية فى أثينا لما يقرب من خمسة وثلاثين عاما، وهو ثيوفراسط، أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ومع بدايات العصر الهللينى المبكر. واستمدَّ أنماط الطباع التى يقدمها فيه من واقع الحياة اليومية للمواطنين العاديين فى أثينا .

يرسم ثيوفراسط لوحات تصور ثلاثين نموذجا مختلفا من أخلاق الناس وسلوكهم، بحيث نعايش هؤلاء الناس فى مواقفهم المتباينة، وندخل معهم بيوتهم وأسواقهم ومسارحهم ومجالسهم الشعبية، ونبتسم لبعض تصرفاتهم أو نستهجن بعضها الآخر، ونعجب فى كل الأحوال بهذه اللوحات الحية التى تلهم الأديب وتهم الباحث الاجتماعى والمؤرخ للأخلاق والعادات والتقاليد، وربما وجدنا فيها شيئاً من أنفسنا ومن جوانب ضعفنا، أو من طباع بعض المحيطين بنا فى الواقع اليومى ... ★

الثمن
جنيهان

المركز المصرى العربى

Xarakteres ethikoi